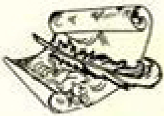
الأعلام من الأدباء والشعراء



ابن هانئ الأندلسي

عصره وبيئته وحياته وشعره

تأليف

أحمد حسن بسج

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الأعلام من الأدباء والشعراء

ابن هانئ الأندلسي

عصره وبيئته وحياته وشعره

تأليف
أحمد حسن بسج

الطبعة الأولى
١٤١٤هـ - ١٩٩٤م

دار الكتب العلمية بيروت - لبنان
ص.ب: ٩٤٢٤/١١ - تلكس: Nasher 41245 Le
هاتف: ٣٦٦١٣٥ - ٣٠٢١٣٣ - ٦٠٢١٣٣ - ٨٦٨٠٥١ - ٨١٥٥٧٣
فاكس: ٤٧٨١٢٧٣/١٢١٢ - ٠٠٠/ ٦٠٢١٣٣ /٩٦١١ /٠٠

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة :

أتناول في هذه الرسالة شاعراً آخر ، من شعراء الأندلس والمغرب ، أطلقوا عليه اسم « متنبي الغرب » وأعني به ابن هانيء الأندلسي . ولقد حاولت ما استطعت أن أكشف عن الجوانب الغامضة في حياته ، ولكنني لم أوفّق إلى كل ما أردته في مسعاي لندرة المصادر التي عنيت بذلك ، أو لعدم اهتدائنا إليها بعد . ومع ذلك ، أحسب أنني قدّمت ما يشكُل مُنطلقاً صالحاً للباحثين كي يتابعوا المساعي لتحقيق ما قصّرت فيه . كما أنني ، تتبعت قصائده ، من خلال ديوانه ، بالدرس والتحليل لالقاء الضوء على خصائصه النفسية والفنية ، وفي ذلك أيضاً ، لا أدعّي أنني بلغت الكمال وأصبت الهدف ، ولكنني بذلت ما وسعني ، آملاً أن يلقى هذا العمل المتواضع استحسان القارىء الكريم .

والله من وراء القصد .

أحمد حَسن بَسّج بيروت :

١٩٩٣/٨/٢ رومية

الموافق ١٤ صفر ١٤١٤ هجرية

الفصل الأول

عصره وبيئته

جزيرة الأندلس :

أول من سكن الأندلس ، بعد الطوفان ، قوم عُرفوا بالأندلش فعرف المكان بهم ، ثم عُرِّب الاسم فيما بعد وصار « الأندلس » . ويرى البعض أن هنالك علاقة بين التسمية هذه وبين اسم قبيلة « الفندال » الجرمانية .

تقع الأندلس جنوب غرب أوروبا ، ويلفها البحر الأبيض المتوسط من الجنوب وتشرف على المحيط الأطلسي من الغرب ، وهي متصلة بالبر الاوروبي من جهة الشمال . وتمتاز طبيعتها بوعورة مسالكها في المناطق الجبلية ، خصوصاً في الشمال حيث جبال « البرنس » ، وبخصب سهولها الممتدة على السواحل، وبكثرة مواردها المائية، فنهر « تاجة » ينبع من الشمال ونهر « دويرة » . ونهر « الوادي الكبير » ينبع من جبال شقورة ويتجه نحو المحيط الأطلسي . وقد نشأت على ضفاف هذه الأنهار مدن وحواضر عامرة ، قامت فيها حضارة زاهية عاشت لقرون طوال ، مثل قرطبة وإشبيلية وقرمونة على الوادي الكبير،وطليطلة وشنترين على نهر تاجة، وهذا على سبيل المثال لا الحصر ، وقد أفاض المؤرخون والكتّاب في وصف بلاد الأندلس ، من ذلك ما ذكره[1] الوزير لسان الدين بن الخطيب : « خص الله تعالى بلاد الأندلس من الريع وغدق السقيا[2] ، ولذاذة الأقوات ،

---

(١) تاريخ أعمال الأعلام : ٤ .

(٢) الريع : الخصب . الغدق : الماء الكثير .

وفراهة الحيوان[1] ، ودرور الفواكه ، وكثرة المياه ، وتبحر العمران ، وجودة اللباس ، وشرف الآنية ، وكثرة السلاح ، وصحة الهواء ، وابيضاض ألوان الإنسان ، ونبل الأذهان ، وفنون الصنائع ، وشهامة الطباع ، ونفوذ الإدراك ، وإحكام التمدن والاعتمار ، بما حُرمه الكثير من الأقطار مما سواها » .

ومما قاله[2] عنها ابن سعيد « . . . فمتى سافرت من مدينة إلى مدينة لا تكاد تنقطع من العمارة ما بين قرى ومياه ومزارع ، والصحاري فيها معدومة » .

فتح الأندلس :

فتح المسلمون بلاد المغرب على مراحل ، كانت أولاها من خلال حملة عُقبة بن نافع الفهري سنة ٢١ هـ . وآخرها حملة موسى بن نصير سنة ٩٠ هـ ، وبها تم إخضاع كل مناطق المغرب تحت لواء الدولة الإسلامية . توقفت حملة موسى بن نصير في طنجة ، وكان على رأس الجيش هناك طارق بن زياد ، الذي عمل على تقوية جيشه ونشر الإسلام في المنطقة ، وكان يُعد العدة للتقدم نحو سبتة ومنها إلى الأندلس . وهكذا ، فقد عمل طارق على ملاطفة « يليان » النصراني ، حاكم سبتة ، والذي كان على صلة « بغيطشة » ، ملك إسبانيا في ذلك الزمن ، وأثمرت محاولات طارق ، خصوصاً بعد وفاة « غيطشة » حيث تملك إسبانيا « لُذريق » الذي لم يكن على علاقة ودية « بيليان » ، فقدّم يليان العون للمسلمين ودلّهم على

(١) فراهة الحيوان : نشاطه .
(٢) نفح الطيب : ١/ ٢٠٥ .

ثغرات عدوهم ، فاستغل طارق الفرصة وعبر البحر بحملة عظيمة سنة ٩٢ هـ ، حيث التقى بجموع « لذريق » وهزموه ، ثم انتشروا في البلاد متوغلين وقُضي بذلك على نفوذ دولة القوط تماماً . وفي هذه الأثناء ، انكفأ موسى بن نصير عائداً إلى القيروان ، ومنها إلى دمشق بناءً على أمر الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك وكان عيّن ابنه عبد العزيز أميراً في قرطبة . وإذا اعتبرنا طارق بن زياد أول عمّال الخليفة في الأندلس وآخرهم يوسف الفهري فتكون عدتهم عشرين عاملاً ، كان يعيِّنهم الخليفة مباشرة من دمشق . وظل الأمر على هذا المنوال حتى سنة ١٣٢ هـ عندما أطاح العباسيون بدولة بني أمية واستولوا على الحكم في المشرق .

الحال السياسية

كان القوط الغربيون يحكمون إسبانيا ، عندما كان المسلمون يتاهبون لدخولها ، وتميز حكمهم للبلاد بالضعف والفساد ، والصراعات الطبقية نتيجة لسيطرة فئة واستبدادها بمقدرات البلاد ، إزاء كل ذلك ، تفاقمت النقمة الشعبية ، وصار الناس يتحينون الفرصة المناسبة لينقضّوا على الدولة ورموزها . فجاء الفتح الإسلامي ، وأهالي البلاد في شبه جزيرة إيبرية على هذه الحال التي وصفناها ، فسرعان ما تعاونوا مع الفاتحين للتخلص من ظالميهم ومستغليهم . وبدأ عصر جديد تعاقبت فيه دول وممالك ، وتخلله صراعات وحروب طاحنة مع الفرنجة من جهة ، وفيما بين تلك الدول من جهة أخرى ، وسنشير فيما يلي إلى أهم تلك الدول والعصور السياسية المختلفة .

عصر الولاة : ٩٥ هـ ـ ١٣٨ هـ :

هو عصر التأسيس ، وقد قام عبد العزيز بن موسى بعبء عظيم . فواصَلَ الفتوحات ، ورسّخ قواعد الحكم ، ووطد الأمن في جميع انحاء البلاد التي خضعت لسلطانه ، وقد تقلد منصب الولاية من بعده سبعة عشر والياً ، كانوا يرتبطون ـ جميعاً ـ بالخليفة الأموي في دمشق ، فهو كان يعيّنهم ويقيلهم . وقد شهد هذا العهد أحداثاً داخلية تمثّلت في التنافس على الولاية والسلطة ، مما ساهم في قيام الصراعات العصبية والقبلية ، ومع ذلك لم تتوقف أعمال الغزو والجهاد على الجبهة الشمالية المتاخمة لفرنسا .

إمارة قرطبة : ١٣٨ هـ ـ ٣٠٠ هـ :

قامت الثورة العباسية في المشرق ، ضد بني أمية سنة ١٣٢ هـ ، فلاحق العباسيون ـ بنتيجتها ـ أفراد الأسرة الأموية ونكّلوا بهم ، فلم ينج منهم إلا عبد الرحمن بن معاوية ، الذي توجّه إلى المغرب ثم دخل الأندلس سنة ١٣٨ هـ ، وأسس فيها دولة مستقلة ، وقد ساعده ، في تحقيق هذا الهدف ، أنصار الأمويين من اليمنية ، فوحّد البلاد وقضى على المنازعات والفتن ، واستقر له الأمر بعد ما أزال من طريقه والي الأندلس يوسف الفهري . وبذلك وطّد لنفسه ولأبنائه من بعده دولةً أموية انفصلت عن الخلافة العباسية ، فتوالى على الحكم ستة من أبنائه وأحفاده ، ساروا جميعاً سيرة عبد الرحمن في الحزم ، والعمران والتشييد ، والجهاد .

خلافة قرطبة : ٣٠٠ هـ ـ ٤٢٢ هـ :

بدأت الدولة بالتفكك والضعف مع أواخر القرن الثالث

الهجري ، فنشبت عدة ثورات وتأججت نار العصبية القبلية ، وتفتّحتْ شهية الطامعين في السلطة والحكم ، إلى أن تسلم مقاليد الأمور عبد الرحمن بن محمد ، الذي تلقب بالناصر ، سنة ٣٠٠ هـ ، فأعلن نفسه خليفة وأميراً للمؤمنين سنة ٣١٦ هـ ، وكان عليه أن يتصدى للعقبات والفتن التي تعوّق مسيرة التقدم ، وقد نهض لها ، وذلّلها ، فأخمد نيرانها وسكّن زلازلها وافتتحها عَوْداً كما افتتحها بدءاً سميُّه عبد الرحمن بن معاوية (١) .

وتولى ابنه الحكم المستنصر سنة ٣٥٠ هـ ، فسار سيرة والده في الحزم وحسن السياسة والعمران ، ثم خلفه ابنه هشام ـ وكان في الثانية عشرة من عمره ـ إلا أن الحاجب(٢) المنصور غلب عليه ، ومنعه من ممارسة سلطاته ، وما لبث أن استقل بالحكم من دونه ، فقام بأعمال جليلة : فلم يتوان عن الجهاد ، وشجع العلم والعلماء ، وقرّب الأدباء حتى كثروا في عهده ومنهم عُبادة بن ماء السماء وابن درّاج القسطلي . مات الحاجب المنصور سنة ٣٩٢ هـ ، وقُتل ابنه عبد الرحمن ، فعادت السلطة إلى بني أمية ، ثم لم تلبث حتى اضمحلت فقضي على الدولة الأموية بخلع هشام الثالث سنة ٤٢٢ هـ ، ليبدأ بعد ذلك عصر الطوائف ، الذي كان بدأ فعلاً بعد وفاة الحاجب المنصور مباشرة حيث اشتد الصراع على السلطة بين الفئات المختلفة : فيما بين العرب أنفسهم من قيسية ويمنية ، وبين العرب والموالي والبربر ، فكانت نتيجة الصراع بروز عدة دول

---

(١) تاريخ أعمال الأعلام : ٢٩ .

(٢) راجع أخباره في تاريخ أعمال الأعلام ص ٥٩ .

متناحرة ، لن استفيض في ذكرها لأنني رأيت أن احصر البحث في ما هو أولى من ذلك ، إلا أنني سأمر عليها سريعاً .

ظهرت إلى الوجود ممالك مستقلة ، في المدن المختلفة ، إثر سقوط الدولة الأموية سنة ٤٢٢ هـ ، وغلب على هذه الدول الضعف والتفكك فكانت تتصارع فيما بينها إلى حد أن بعضها كان يستعين بالنصارى على البعض الآخر ، حتى تدخل أمير المغرب يوسف بن تاشفين - تلبيةً لطلب الأندلسيين - فنصر الإسلام في معركة الزلاقة سنة ٤٧٩ هـ وعاد من حيث أتى . ثم تدخّل للمرة الثانية وأبقى جيشه في الأندلس وخلع ملوك الطوائف ، وأعاد البلاد إلى سلطة الخلافة العباسية في بغداد ، وسار ابنه علي على طريقته حتى وفاته سنة ٥٠٠ هـ . حيث بدأ الضعف في هذه الدولة التي عرفت بدولة المرابطين وما لبث أن زالت على أيدي الموحّدين سنة ٥٥٥ هـ عندما عبر السلطان الموحّدي ، من المغرب إلى الأندلس ، وكان يومذاك عبد المؤمن بن علي ، وقضى على المرابطين وأعاد الأمن إلى البلاد واستقر في إشبيلية وسار خلفاؤه سيرته حتى عهد الناصر محمد بن يعقوب ، هذا العهد شهد بداية حرب النصارى ضد المسلمين للاستيلاء على مدنهم وممالكهم ، وفي هذا المجال كانت معركة « العُقاب » ، التي تمكّن فيها النصارى ، الحد الفاصل ، فبدأ معها التراجع الإسلامي ، وتساقطت الحواضر والمدن ، الواحدة تلو الأخرى ، وسقطت إشبيلية عاصمة الموحدين سنة ١٢٣٩ رومية .

أما بنو الأحمر ، فكانت عاصمتهم غرناطة حيث أسسوا مملكتهم منذ سنة ٦٣٥ هـ على يد محمد بن يوسف بن نصر ، توالى على حكمها عشرون ملكاً من أحفاده وانتهى المطاف بسقوط غرناطة سنة

٨٩٨ هـ/١٤٩٢ رومية وكان سقوطها سقوط آخر معقل للمسلمين هنالك .

نظام الحكم في الأندلس

كان نظاماً ملكياً فردياً، يمسك الأمير أو الخليفة بالزمام ، وهو المرجع في كل الأمور ، الصغيرة منها والكبيرة ، فإذا كان هذا الحاكم قوياً ، استتب الأمن واستقرت الأحوال ، وازدهرت البلاد ونشطت الحركة الثقافية ، والعمرانية ، ونعم الناس في بحبوحة من العيش . وإذا كان الأمر غير ذلك ، كانت عندئذٍ البلاد عرضة لأعمال من الفوضى ، ومسرحاً للعنف والمنازعات ، مما كان ينعكس على الميادين المختلفة سلباً .

أما الإدارة ، فكان يرأسها كبير الوزراء ، أو الحاجب وكان يُختار من ذوي الفصاحة والبلاغة المقربين من الحاكم، لذلك كان الكتّاب يتنافسون للوصول إلى الدواوين التي سيترقّون من خلالها إلى منصب الوزارة . وبلغت الحجابة أرقى درجاتها في عهد المنصور ابن أبي عامر حيث تفرّد بالسلطة وجمّد صلاحيات الخليفة ، ونهض بأعباء الدولة على خير ما يكون .

والكتابة كانت على نوعين : كتابة الرسائل ويتولاها أديب من ذوي الخبرة والثقافة العالية وممن حازوا رضى الحكام ، والنوع الثاني يمثّله كاتب الزّمام أو الحسابات .

والقضاء ، كان يليه قاضٍ يُختار من بين الفقهاء العلماء ، وله من السلطة والصلاحيات ما يسمح له باستدعاء السلطان أو الوزير للإدلاء بشهادته .

أما الشرطة ، فكان صاحبها يتمتع ، هو أيضاً ، بصلاحيات واسعة : منها قتل المستحقين دون الرجوع إلى السلطان . ومن ملحقات خطة الشرطة : الطوافون في الليل لمكافحة اللصوص . ومن الوظائف الهامة في الأندلس المحتسب(1) ، ومن مهامه : مراقبة الأسعار والموازين وضبط الأسواق إلخ .

أما من حيث الأهمية فصاحب الأعمال الخراجية يأتي قبل الوزير رتبةً .

ومما هو معروف عن الأندلسيين ، أنهم يضيقون ذرعاً بالحاكم أو القاضي إذا قصّر أحدهما في إقامة الحدود الشرعية ، فقد يخرجونه(2) من بلدهم أو يرجمونه إذا لم يحقق العدل .

الحال الاجتماعية

١ ـ عناصر الشعب في الأندلس:

العرب ، والبربر ، والموالي ، والمولَّدون ، وأهل الذمة من نصارى ويهود . هذه هي العناصر التي تألف منها شعب الأندلس ، ولكل من هذه الأجناس خصائصه الحضارية والدينية والوراثية ، تفاعلت كلياً أو جزئياً لتؤلف شعباً واحداً ذا خصائص مميزة ، انعكست جميعها في مجالات الحياة المختلفة ، فظهرت حركات تجديد في العمران والفنون والآداب ، وسنعود إلى هذا الموضوع عند الحديث على الأحوال العلمية والأدبية .

---

(١) نفح الطيب ٢١٧/١ .

(٢) نفح الطيب ٢٢٠/١ .

- العرب : وكانوا يؤلفون الطبقة الحاكمة ، وبحكم مواقعهم في مراكز السلطة ، كانوا ينظرون إلى غيرهم من الفئات والأجناس نظرة احتقار ، مما حمل البربر ، وغيرهم ، على الثورة[1] أكثر من مرّة .
- الموالي : هم موالي بني أمية ، وعلى أكتافهم قامت دولة عبد الرحمن الداخل .
- المولّدون : وهم الجيل الجديد الذي نشأ عن علاقات الزواج بين الفئات المختلفة ، وقد زالت هذه التسمية بعد القرن الثالث ، حيث اندمجت كل الأجناس في بوتقة واحدة وطنية هي أندلسيتهم ، فصار الجميع شعباً له خصائصه ومزاياه ولغته وحضارته .
- البربر : هم سكان شمالي إفريقيا ، أسلموا وانخرطوا في صفوف الجيش ، وساهموا في الفتوح جميعها ، وخصوصاً فتح الأندلس وهم يشكّلون كثرة عددية هائلة بالمقارنة مع غيرهم .
- أهل الذمة : من النصارى الأسبان ، وقد أذعن هؤلاء لحكم الإسلام لقاء جزية يدفعونها بمقتضى الشريعة الإسلامية . والحكم نفسه كان يطبّق على اليهود .
- الصقالبة وهم أسرى الحروب ، وكان عبد الرحمن الناصر قد ألّف منهم جيشاً لحماية ملكه .

---

(١) الأدب العربي في الأندلس (عتيق) : ١٣٣ .

٢ ـ العادات :

الأندلسيون أهل احتياط وليسوا بخلاء ، « ولهم مروءات على عادة بلادهم ، لو فطن لها حاتم لفضّل دقائقهـا على عظائمه »[١] . وهم لذلك يكرهون التسول والمتسولين « فلا تجد بالأندلس سائلاً إلا أن يكون صاحب عذر »[٢] . إذاً هم كرام متعففون يضعون الشيء في مكانه ، لا يسرفون ولا يقترون ، يكرمون الضيف ، ولا يشجعون الكسالى ، من الذين يذلون أنفسهم بالكُدْية ، واستجداء المعروف ، ومن عاداتهم الحسنة ، حبهم للنظافة ، وهم « أشد خلق الله اعتناءً بنظافة ما يلبسون وما يفرشون ، » وفيهم من لا يكون عنده إلا ما يقوته يومه ، فيطويه صائماً ويبتاع صابوناً يغسل به ثيابه ، ولا يظهر فيها ساعة على حال تنبو العين عنها »[٣] .

٣ ـ الأزياء

يغلب على أهل الأندلس ترك العمائم ، خصوصاً في شرقها ، أما في الغرب فكان الفقهاء والقضاة يضعونها ، أما السلاطين والأجناد فكثيراً ما تزيوا بزي النصارى[٤]. ومن أهم أزيائهم الطَّيلسان[٥] « ولا تجد في ضواحي الأندلس ، وأكثر عوامهم من يمشي دون طيلسان إلا أنه لا يضعه على رأسه منهم إلا الأشياخ المعظمون ،

---

(١) نفح الطيب : ١/ ٢٢٣ .
(٢) نفح الطيب : ١/ ٢٢٠ .
(٣) نفح الطيب : ١/ ٢٢٣ .
(٤) نفح الطيب : ١/ ٢٢٣ .
(٥) هو ثوب أسود طويل له غطاء للرأس .

وغفائر الصوف كثيراً ما يلبسونها حُمراً وخضراً ، والصفر مخصوصة باليهود ، ولا سبيل إلى يهودي أن يتعمم البتة ، والذؤابة لا يرخيها إلا العالم . . . وهذه الأوضاع التي بالمشرق في العمائم لا يعرفها أهل الأندلس ،وإن رأوا في رأس مشرقي داخل إلى بلادهم شكلاً منها، أظهروا التعجب والاستظراف ، ولا يأخذون أنفسهم بتعليمها لأنهم لم يعتادوا ولم يستحسنوا غير أوضاعهم . وكذلك في تفصيل الثياب »[1] .

أما أزياؤهم في الحرب ، فتختلف هي أيضاً عما هي عليه عند المشرقيين فهم كانوا يحاربون « بالتراس والرماح الطويلة للطعن ، ولا يعرفون الدبابيس ، ولا قسي العرب ، بل يعدون قسي الإفرنج للمحاصرات في البلاد ، أو تكون للرجالة عند المصافقة للحرب ، وقليلاً ما تصبر الخيل عليهم أو تمهلهم لأن يوتروها »[2] .
وكما تميزوا في ما ذكرناه ، من لباس السلم والحرب ، تميزوا أيضاً بزي خاص ، جعلوه للحداد وهو الثياب البيضاء يقول[3]ابن برد الأصغر :

يقولون : البياض لباس حزن بأندلس ، فقلتُ : من الصوابِ
ألم ترني لبست بياض شعري لأني قد حزنتُ على الشبابِ

ولكن البياض لم يكن محصوراً بهذه المناسبات ، إنما ،

---

(١) نفح الطيب : ٢٢٣/١ .
(٢) نفح الطيب : ٢٢٣/١ .
(٣) الأدب العربي في الأندلس ـ عتيق : ١٤٢ .

وبتوجيهات زريـاب المشرقي ، كانوا يرتدون الأبيض في الصيف ، أما في الربيع فكان يُلبَس الحرير الخفيف ؛ وسترات ذات ألوان زاهية ، أما الفراء فللشتاء[١] .

٤ ـ النساء :

لعبت النسـاء دوراً بارزاً في الحيـاة الاجتماعيـة في الأندلس ، فالمرأة الحرة تمتعت بمكانـة عاليـة ، وبمنزلـة مرموقة كـانت تُحسد عليها ، وهـي على علو هذه المنزلة ، كانت تتمتع بمستـوى من « الجمال والثقافة والتقوى كذلك : فكل واحدة منهن عملت ، من حسابها الخـاص على بناء جـامع أو سبيـل ماء يحمـل اسمها في قرطبة »[٢] . « ويجعل دوزي من إحدى هاتيك الأميرات ـ طروب ـ حابكـةً للدسـائس »[٣] ، ونظراً لتعدد النساء في دور ذوي السلطة والغنى ، فقـد تحوّلت هـذه البيوت فعـلاً إلى أمـاكن كثـرت فيهـا الضغائن والأحقاد ، وانتقل ذلك التحاسد بين النسوة ، إلى أولادهن فأثّر في الأولاد تأثيراً سيئـاً ظهرت نتـائجه فيمـا بعد . منهن أيضـاً الحـرائر والإمـاء ، والحرائـر كن يتحجبن ويرتـدين الثياب الأنيقـة المزخرفة ، وقد اعتنين بأشكال الزينة والحلي من المعـادن الثمينة والأحجار الكريمة . أما الإماء والسراري ، فقد غصّت الدور بهن ،

---

(١) حضارة العرب في الأندلس : ٥٧ .

(٢) حضارة العرب في الأندلس : ٥٧ ، وساق هذا الكلام (أعلاه) في معرض حديثه عن محظيات الأمراء اللواتي يتنافسن في كل شيء وقد ضاقت بهن القصور على اتساعها .

(٣) المصدر نفسه .

فكنّ يحسنّ الغناء والعزف ، وبعضهن قد تأدبن وتربين كي يبعن بأثمان باهظة ، خصوصاً إذا كنّ جميلات ، ولم تتقيد الإماء بالحجاب ، وكنّ يتصرفن بطريقة ، يغلب عليها التحرر ، شأنهن في ذلك شأن الحرائر اللواتي تمتعن بحرية زادت عن حدها المألوف في بعض الحالات كتحرر ولّادة بنت المستكفي في بعض أشعارها .

وقد لعبت المرأة دوراً في السياسة ، عن طريق التأثير على الملوك والحكام لتنفيذ أغراض معينة ، ويكاد هذا الأمر أن يكون محصوراً في بيوت الطبقة الحاكمة . أما عن دور المرأة في العملية الأدبية فسنأتي إليه في موضعه .

٥ ـ الغنى والترف

الأندلس بلاد غنية بمصادر الثروة ، وعلى رأسها الماء ، وأرضها خصبة معطاء ، وفي الوقت ذاته فيها من المعادن الثمينة ما جعلها تعيش بأهلها في رغد من العيش . وقد وصفها المقري[1] نقلاً عن ابن حوقل ، عندما زارها في المائة الرابعة قائلاً : « وأما جزيرة الأندلس فجزيرة كبيرة ، تغلب عليها المياه الجارية والشجر المثمر ، والرخص والسعة في الأحوال من الرقيق الفاخر والخصب الظاهر ، إلى أسباب التملك الفاشية فيها ، ولما هي به من أسباب رغد العيش وسعته وكثرته، يملك ذلك منهم مِهَنِيّوهم وأرباب صنائعهم، لقلة مؤونتهم وصلاح معاشهم وبلادهم . ومما يدل بالقليل منه على كثيره أن سكة دار ضربه على الدراهم والدنانير دخلها في كل سنة مائتا ألف

---

(١) نفح الطيب : ٢١١/١ .

دينار ، وصرف الدينار سبعة عشر درهما ، هذا إلى صـدقات البلد وجبـاياتـه وخراجـاته وأعشـاره وضمانـاته والأمـوال المرسـومة على المراكب الواردة والصادرة وغير ذلك » .

بات من الواضح ، من خلال ما تقدم ، أن هذه البلاد بلاد خير ونعمة وجمال طبيعي ، واعتدال مناخي ، أمور لا تجتمع إلا لتوفر الأجـواء الملائمـة لقيام نهضـة شاملة ، وحـركة نـاشطة في كـافة المجـالات ، والمـلاحظ أن الثـراء الفـاحش ، مضـافاً إلى ذوق الأندلسيين ، قد جعل هذا الشعب يميل إلى اللهو ، فتعلقوا بالغناء واستمعوا إليه ، وتلذذوا بالأصوات الحسنة وشنفوا آذانهم بـالأنغام المختلفة ، وتباهى الناس ، وخصوصـاً عظمـاء القوم ، في اتخـاذ القصور الفخمة ، والجواري الحِسان وتنعّموا بشتّى أنواع الملذات . ففي عهد عبد الرحمن الداخل وفد من المشرق مغنون ومغنيات من أمثال « فضل » و« علم » ، أما « قلم » فقد أخذت الغناء عن مطربي المدينة وعادت إلى الأندلس ، وأحاطهن الداخل بعناية فائقـة[1] ، واتخذ لهن داراً عرفت بدار المدنيات ، وكنّ قد ولدن له ، كل واحدة ولدت مولوداً ذَكَراً ، فتمتعن لذلك ، بمكانة أم الولد . ومن المغنين زرياب الذي قدم من الشرق ليؤسس مدرسة في الغناء والموسيقى في الأندلس إلى جانب الرقص والأزياء وغير ذلك من الأعمال الذوقية كأعمال الزينة ، وقد نقل زرياب علمه وفنه إلى طلابـه وأصحابـه وأبنائه . ومن جـواري زرياب « متعـة » ، وقد أهـداهـا إلى الأميـر

---

(١) الأدب العربي في الأندلس ـ عتيق : ١٤٥ . حضارة العرب في الأندلس : ٥٧ .

عبد الرحمن الأوسط لشغفه بها[1] . ومن الذين اشتغلوا بالموسيقى والألحان : أبو بكر بن باجة ويحيى المرسي . أما أهم المدن التي عرفت ازدهاراً في الحركة الغنائية ، فإشبيلية بالدرجة الأولى ثم المدن الأخرى .

٦ ـ العمران

العناصر التي تساهم في النهضة العمرانية ، الغنى والأمن والعلم . وقد توافرت هذه الشروط ، في الأندلس ، لقيام نهضة عمرانية شاملة ، خصوصاً في عهد سيادة قرطبة أي في العهد الأموي ، فمن مآثر تلك الدولة الجامع الكبير والقصر في قرطبة وقد بناهما الداخل ، ومدينة الرصافة . وابنه هشام أقام القناطر وأتم بناء الجامع ، وفي عهد عبد الرحمن الأوسط ، بنيت القصور ونظمت الشوارع واصلحت ، وبنيت المساجد ، وجعل بجانب كل جامع مدرسة ومستشفى ووسّع جامع قرطبة الكبير .

وفي العهود التالية ، نشأت نهضة عمرانية شاملة ، أي في مختلف المناطق ، ولكن تختلف من حيث عظمتها باختلاف الظروف التي أشرنا إليها . ونشير هنا إلى قصر الحمراء الذي شيده بنو الأحمر في غرناطة والذي ما زال قائماً إلى الآن .

الحال العلمية

« وأما حال أهل الأندلس في فنون العلوم فتحقيق الإنصاف في

---

(١) الأدب العربي في الأندلس ـ عتيق : ٥٨ .

شأنهم في هذا الباب أنهم أحرص الناس على التميز ، فالجاهل الذي لم يوفقه الله للعلم يجهد أن يتميز بصنعة ، ويربأ بنفسه أن يُرى فارغاً عالة على الناس ، لأن هذا عندهم في نهاية القبح ، والعالم عندهم معظَّم من الخاصة والعامة ، يُشار إليه ويُحال عليه »[1] . ومع ذلك فلم يكن لأهل الأندلس مدارس تعينهم على طلب العلم . بل يقرأون جميع العلوم في المساجد بأجرة ، يدفعهم إلى ذلك حبهم للعلم ، وليس كي يأخذوا جارياً[2] .

وقد ساهم في انتشار العلم أجواء الهدوء والأمن والرخاء والاستقرار السياسي والاجتماعي ، بالإضافة إلى تشجيع الملوك والأمراء للحركة العلمية ، وكثير منهم كان له اشتغال بالعلم والأدب ، فأمراء بني أمية كلهم كانوا من الفصحاء المطبوعين ، من ذواقي الشعر والأدب ، ونخص بالذكر عبد الرحمن الأوسط إذ كان شاعراً فقيهاً بأمور الدين مثقفاً[3] ، وفي عهده ظهر عدد كبير من العلماء والأدباء من أمثال عباس بن فرناس الشاعر الكيميائي والذي اشتهر بتجربته في الطيران . ومما يدل على اهتمام ذلك الأمير بالعلوم والآداب « إنه أوفد ـ قبل توليه الحكم ـ عالماً من قرطبة هو عباس بن ناصح إلى العراقِ نفسهِ متوخياً الآثار العلمية المنقولة إلى العرب عن اليونان والفرس واستنساخها له »[4] . ومن هنا يتبين شغفه بالعلم وخصوصاً علم الفلك .

---

(١) نفح الطيب : ١/٢٢٠ .
(٢) نفح الطيب : ١/٢٢١ .
(٣) الأدب العربي في الأندلس ـ عتيق : ٥٨ .
(٤) الحضارة العربية في الأندلس : ٥١ .

وعلى العموم فإن الأندلسيين اشتغلوا في كافة العلوم إلا التنجيم والفلسفة ، فمَن يثبت عليه أنه اشتغل فيهما كان يطلق عليه اسم زنديق ، فإن زلّ في شبهة قتلوه وصلبوه ، والسلطان كان يفعل ذلك أحياناً للتقرب إلى العامة[1] ، وكان يأمر بإحراق كتب هذا أو ذاك من المتهمين بالزندقة ، كما فعل المنصور ابن أبي عامر في بداية أمره ، وكان هو نفسه يشتغل بهذه العلوم في الباطن[2] .

وتجدر الإشارة الآن إلى بعض العلوم والفنون التي ازدهرت في عصور الأندلس المختلفة ، فمنها : القراءات على الوجوه السبعة ورواية الحديث والفقه ومذهبهم فيه المالكي ، وسمة الفقيه عندهم جليلة ، ومن رواة الحديث الأوائل قاسم بن أصبغ وأحمد بن رحيم ومحمد بن عبد السلام الخشني ، ومن المؤلفين في هذا المجال ابن سعيد بن محمد الورّاق الذي ألّف مسند حديث ابن الأحمر ، وكان قد سمعه من صاحبه ، كما جمع ابن الملَوي بالتعاون مع المعيطي كتاباً سمياه الاستيعاب من مائة جزء ، جمعا فيه رأي مالك وأقاويله[3] . وكذلك كان لأهل الأندلس اهتمام بعلم الأصول والنحو وبرع فيه كثيرون ، وكل عالم في أي علم لا يكون متمكناً من علم النحو ـ بحيث لا تخفى عليه الدقائق ـ فليس عندهم بمستحق للتمييز ، ولا سالم من الازدراء »[4] . أما علم الأدب المنثور

---

(١) نفح الطيب : ٢٢١/١ .
(٢) نفح الطيب : ٢٢١/١
(٣) تاريخ الادب الأندلسي إحسان عباس : ٧١/١ .
(٤) نفح الطيب : ٢٢١/١ .

والمنظوم والتاريخ والحكايات ، فكانت على منزلة رفيعة وتقربوا بها إلى ملوكهم ، « ومن لا يكون فيه أدب من علمائهم فهو غفل مستثقل »[1] . وقد برزت طائفة من الأدباء ، الذين ألفوا في الأخبار والنوادر ، على طريقة أبي علي القالي في أماليه ، وأبو علي كان وفد من بغداد إلى الأندلس أيام الناصر الذي أكرمه . وممن ألّفوا الكتب الأدبية أحمد بن عبد ربه ، وكتابه « العقد الفريد » ، يكاد يكون نسخة عن « عيون الأخبار » لابن قتيبة ، لما يحويه من أخبار الشرق . ونوادر شعرائه وأشعارهم . ومن الجدير بالذكر أن عهد الحكم المستنصر بن الناصر ، كان عصر نهضة شاملة في جميع العلوم والفنون لأنه « كان محباً للعلوم ، مكرماً لأهلها ، جمّاعاً للكتب في أنواعها بما لم يجمعه أحد من الملوك قبله »[2]. وكما ازدهرت العلوم اللسانية ، شهدت العلوم التطبيقية حركة ناشطة ، فأسهم الأندلسيون في علم الهندسة والعدد وممن برزوا في هذا المجال أبو القاسم مسلمة المرجيطي المتوفى سنة ٣٩٨ هـ وله كتاب باسم « المعاملات » . ومن الأطباء ابن عبدون الجبلي الذي تفوّق على أقرانه أيام الناصر .

ومن فقهاء الأندلس ومحدثيها بقي بن مخلد الذي أدخل مصنف ابن أبي شيبة وكتاب الفقه للشافعي ، ومنهم ابن وضّاح . ومن الحفّاظ خالد بن سعد القرطبي وكانوا يفاخرون به ، وإلى جانب الفقه المالكي والشافعي ، نشأت طبقة في الأندلس وعلى رأسها ابن

---

(١) نفح الطيب : ١/ ٢٢٢ .

(٢) نفح الطيب : ١/ ٣٨٥

حزم تقول بالظاهر ، حيث دعا هؤلاء إلى التمسك بالنص الحرفي للكتاب والسنة واستمداد الأحكام منهما ، كما دعا ابن حزم إلى إبطال الأقيسة الفقهية ، وشجع على دراسة علوم المنطق والفلسفة .

أما الشعر ، فقد عبّر تعبيراً صادقاً عن الواقع ، في مختلف العصور ، وكان في مراحله الأولى صدى للشعر المشرقي من حيث الصور والأساليب ، ولكن قد يتغير المضمون تبعاً للمناسبة ولتغير الأحوال والأزمان . وقد لقي الشعر من الظروف ، في تلك الديار الأندلسية ما هيّأ له بواعث للتطور والترقي ، من ذلك أن كثيراً من الأمراء كانوا هم أنفسهم شعراء مطبوعين ومرّوا بتجربة إنسانية مرّة، فيها من الأسى والحزن ما فجرّ قرائحهم وعبّروا عن عواطفهم كما فعل عبد الرحمن الداخل الذي لم ينس وطنه في المشرق فقال عندما رأى نخلة في الرصافة :

تبدّت لنا وسط الرصافة نخلة
تناءت بأرض الغرب عن بلد النخل
نشأتِ بأرض أنت فيها غريبة
فمثلك في الإقصاء والمنتأى مثلي

ولكنك تراه ، مزهواً مفاخراً في مناسبة أخرى حيث أتيح له أن يتسلم مقاليد البلاد ، فاستتبت له الأمور ودانت الرقاب والعباد فيقول[١] :

---

(١) العقد الفريد : ٤/ ٤٨٩ .

فبزّ ملكاً وشاد عزّاً ومنبراً للخطاب فصلاً
فجاز قفراً وشق بحراً مسامياً لجّة ومحلاً

ومثله كان الحكم بن هشام الذي كان له شعر جيد وفي المناسبات المختلفة . هذا ، بالإضافة إلى إغداقهم الأموال على الشعراء المتقدمين ، وتوفير الأمن ، والثراء ، والطبيعة وما فيها من روعة وحسن ومياه وخضرة واعتدال مناخ ، كل هذه العناصر دفعت بالشعر خطوات كبيرة إلى الأمام ، فلم يمض القرن الأول من الوجود الإسلامي في الأندلس ، حتى بدأت حركة التغيير والتجديد ، والخروج عن المألوف وهو تقليد المشرقيين . فالشخصية الأدبية ، والشعرية خصوصاً ، لم تكن في المرحلة الأولى (القرن الثاني الهجري) إلا صدى لما كان في المشرق ، فساروا على خطاهم في كل شيء حتى إنهم اطلقوا على المتفوقين من شعرائهم ألقاباً عرف بها شعراء الشرق : فابن زيدون بحتري الأندلس وابن درّاج متنبي الأندلس وابن خفاجة ابن معتز الأندلس وهكذا . . .

وفي عهد المنصور بن أبي عامر بلغ الشعر مكانة عظيمة ، بفضل تشجيعه لهم ـ فضلاً عن تشجيعه للحركة العلمية عموماً ـ وفي ذلك جعل ديواناً خاصاً لذوي الصنعة ، قُيدت فيه اسماؤهم بحسب مراتبهم ، وعيّن ناقداً خبيراً في صنعة الشعر ليحكم لكلٍّ بالدرجة التي يستحقها ، ثم أجرى لهم الصِّلات المالية التي يستحقونها ، إلاّ أنّ الأحكام النقدية ، لم تكن دائماً دقيقة ومنصفة ، مما أثار النقمة وأشاع الحسد فيما بين الشعراء .

ومن الشعراء الذين عرفوا في إمارة قرطبة : العتبي ، وابن سبعين

المكّي وهاشم بن عبد العزيز وابن عبد ربه ، وجعفر بن محمد المصحفي ، والرمادي ومنذر بن سعيد . وفي إشبيلية محمد بن هانىء وهو موضوع دراستنا .

ولا ننسى في هذا الباب ، دور المرأة ، إذ إنها أخذت مكانها الطبيعي في النهضة العلمية والأدبية في الأندلس ، فتولت المناصب ، ونذكر هنا كاتبة الخليفة الحكم المستنصر وهي لبنى[1] النحوية الكاتبة الشاعرة ، وكانت بصيرة بالحساب والعروض ، ومزنة كاتبة الخليفة الناصر ، كما كان لبعضهن دراية برواية الحديث من أمثال غالية بنت محمد المعلمة . ومن الشواعر عائشة[2] بنت أحمد القرطبية وكانت تمدح ملوك زمانها ، وجمعت مكتبة قيِّمة ، ومنهن صفية بنت عبد الله الريي ، وحمدة[3] الملقبة بخنساء المغرب ، ومنهن حفصة بنت حمدون ، والغسّانية البجّانية . وللدلالة على موقع المرأة يكفي أن نعلم أنه ان بمدينة قرطبة نحو ١٥٠ امرأة تكتب القرآن بالخط الكوفي[4] ، فكيف بغيرها ! .

هكذا كانت أحوال العلم والثقافة والأدب حتى سنة ٤٢٢ هـ ، أي إلى نهاية الحكم الأموي ، أما في العصور التالية فلم يتوقف النشاط

---

(١) بغية الوعاة : ٢/ ٢٦٩ . وقال : « لم يكن في قصرهم أنبل منها » . ماتت سنة ٣٧٤ هـ .

(٢) نفح الطيب: ٤/ ٢٩٠ . وقال : « إنها من عجائب زمانها » . ماتت سنة ٤٠٠ هـ .

(٣) نفح الطيب : ٤/ ٢٨٧ . وسماها أيضاً « شاعرة الأندلس » .

(٤) الأدب العربي في الأندلس - عتيق : ١٤٥ .

العلمي أو الأدبي ولكنه كان يتخذ المنحى الذي يتناسب مع الوقائع السياسية والأمنية . ففي عهد ملوك الطوائف ، شهد الشعر ازدهاراً ملحوظاً في إشبيلية وغرب الأندلس ، في ظل حكم المعتمد بن عبّاد ، الذي زالت دولته سنة ٤٨٤ هـ ، على يد يوسف بن تاشفين ، وتعددت الحواضر بتعدد الممالك ، فظهر شعراء منهم ابن رشيق ، وابن الغسّال . وكذلك في العهد المرابطي والموحدي وصولاً إلى دولة بني الأحمر ، حيث اصطبغ الشعر في هذا العهد بلون الواقع المأسوي الذي عاشته أمة الإسلام حيث بدأ التراجع أمام المد النصراني ، فتحول الشعر إلى رثاء للمدن والممالك . من أهم شعراء العصر الموحدي أبو بكر بن زهر ، ومن شعراء العصر الأخير : الوزير لسان الدين بن الخطيب، وابن زمرك ، ومما يجدر ذكره هنا ، أن هذا العصر ، مع كل ما انتابه من اضطراب وعدم استقرار ، شهد حركة تجديدية في الأدب من حيث الشكل والمضمون ، فظهرت الأزجال والموشحات . أما الأزجال ، فكان قد مهد لها ابن قوزمان المتوفى في منتصف القرن السادس، فلم تَرْقَ إلى قمة تطورها إلا في منتصف المائة السابعة مع ابن جُحدُر الإشبيلي المتوفى سنة ٦٣٨ هـ ، ومن الزجّالين محمد بن عبد العظيم من أهل وادي آش ، أما الموشّحات فقديمة ولكن الذين اشتهروا فيها متأخرون منهم عُبادة بن ماء السماء المتوفي سنة ٤٢٢ هـ ، ثم يحيى بن بقي المتوفى سنة ٥٤٠ هـ . وأبو بكر بن زهر المتوفي سنة ٥٩٥ هـ وأخيراً لسان الدين بن الخطيب المتوفى سنة ٧٧٦ هـ وإبراهيم بن سهل الإسرائيلي المتوفى سنة ٦٤٩ هـ .

الفصل الثاني

حياته وشعره

الممتُ ، في ما تقدم ، بالأحوال العامة في الأندلس ، وارى من الضرورة بمكان ، أن ألقي الضوء على إشبيلية ، لإظهار ما كان فيها من نشاطات ثقافية ، ووجوه حضارية لما في ذلك من ترابط وتلازم بشخصية ابن هانيء .

تميزت إشبيلية عن غيرها من المدن ، بطيب هوائها ، وحسن مناظرها ، وفخامة مبانيها ووفرة مياهها ، وكثرة خيراتها ، خصوصاً وأن نهرها العظيم يشقها ويوفر لها من عناصر الثروة ما ليس لغيرها . وقارنها بعض المؤرخين بمصر وبغداد وفضلوها عليهما . ومما ذكره المقري[1] : « وقد سعد هذا الوادي بكونه لا يخلو من مسرّة ، وأنّ جميع أدوات الطرب وشرب الخمرة فيه غير منكر، لا ناهٍ عن ذلك ولا منتقد ، ما لم يؤد السكر إلى شرٍّ وعربدة ، وقد رام مَن وليها من الولاة المظهرين للدين قطع ذلك ، فلم يستطيعوا إزالته . وأهله أخف الناس أرواحاً ، وأطبعهم نوادر وأحملهم لمزاح بأقبح ما يكون من السب ، قد مرنوا على ذلك » .

هذه الخصائص ، جعلت من هذا المدينة تكتظ بدور الطرب والغناء ، وأماكن اللهو والخمر ، وانتشرت فيها تجارة الأدوات الموسيقية من الأنواع المختلفة « كالخيال ، والكريج ، والعود ،

---

(١) نفح الطيب : ٢١٢/٣ .

والروطة ، والرباب والقانون والمؤنس ، والدف وأبو قرون »[1] وغير ذلك من المعازف والأدوات ، التي صارت تصدّر إلى المدن والبلاد الأخرى ، خصوصاً إلى بر العُدوة ، وإلى البلاد الأندلسية ، حتى أنهم قيل بأن من يريد بيع أدواته من العازفين ، كان يحملها إلى إشبيلية ، ومن أراد بيع كتبه من أهل العلم ، يحملها إلى قرطبة . ولا يعني ذلك أنها لم تحتضن العلماء ، بل كانوا « في كل صنف رفيع أو وضيع ، جداً أو هزلاً »[2] ، وهم «أكثر من أن يُعدّوا ، وأشهر من أن يُذكروا ،وأما ما فيها من الشعراء والوشّاحين والزجالين ، مما لو قسموا على بر العُدوة ضاق بهم ، والكل ينالون خير رؤسائها ورفدهم » .

---

(١) نفح الطيب : ٣/٢١٣ .

(٢) نفح الطيب : ٣/٢١٤ .

ابن هانىء الأندلسي[1]

هو ابو القاسم وأبو الحسن ، محمد بن هانىء الأزدي الأندلسي الشاعر المشهور ؛ قيل إنه من ولد يزيد بن حاتم بن قُبيصة بن المهلّب بن أبي صُفرة الأزدي ، وقيل بل هو من ولد أخيه روح بن حاتم . وكان أبوه هانىء من قرية من قرى المهدية بإفريقية ، وكان شاعراً أديباً ، فانتقل إلى الأندلس ، فولد له بها محمد المذكور بمدينة إشبيلية ونشأ بها واشتغل ، وحصل له حظ وافر من الأدب وعمل الشعر فمهر فيه وكان حافظاً لأشعار العرب وأخبارهم ، واتصل بصاحب[2] إشبيلية وحظي عنده ، وكان كثير الانهماك في الملاذّ متهماً بمذهب الفلاسفة ، ولما اشتهر عنه ذلك نقم عليه أهل إشبيلية وساءت المقالة في حق الملك بسببه، واتهم بمذهبه أيضاً، فأشار الملك عليه بالغيبة عن البلد مدة يُنسى فيها خبره ، فانفصل عنها وعمره ـ يومئذ سبعة وعشرون عاماً .

وحديثه طويل ، وخلاصته أنه خرج إلى عُدوة المغرب ولقي

---

(١) وفيات الأعيان : ٤٢١/٤ . وترجمته أيضاً في : نفح الطيب : ٤٠/٤ والإحاطة : ٢١٢/٢ . والجذوة : ٨٩ . النجوم الزاهرة : ٦٧/٤ . سير أعلام النبلاء : ١٣١/١٦ .

(٢) لم تسم المصادر التي ترجمت لابن هانىء صاحب اشبيلية هذا !

جوهراً[1] مولى المنصور ، فامتدحه ، ثم ارتحل إلى جعفر[2] ويحيى ابني علي ، فبالغا في إكرامه والإحسان إليه ، فنمي خبره إلى المعزّ[3] أبي تميم فطلبه منهما ، فلما انتهى إليه بالغ في الإنعام عليه .

ثم توجه المعز إلى الديار المصرية ، فشيّعه ابن هانىء المذكور ورجع إلى المغرب لأخذ عياله والالتحاق به ، فتجهز وتبعه ، فلما وصل إلى برقة أضافه شخص من أهلها ، فأقام عنده أيّاماً مجلس الأنس ، فيُقال إنهم عربدوا عليه فقتلوه ، وقيل : خرج من تلك الدار وهو سكران فنام في الطريق وأصبح ميتاً ، ولم يُعرف سبب موته ، وقيل إنه وجد في سانية[4] من سواني برقة مخنوقاً بتكة سراويله وكان ذلك في بكرة يوم الأربعاء لسبع ليال بقين من رجب سنة ٣٦٢ هـ ، وكان له من العمر ست وثلاثون سنة ، وقيل اثنتان وأربعون . ولما بلغ المعز وفاته ، وهو بمصر ، تأسّف عليه كثيراً ، وقال : « هذا

---

(١) هو أبو الحسن جوهر بن عبد الله ، المعروف بالكاتب ، الرومي ، كان من موالي المعز بن المنصور صاحب افريقية ، وجهزه إلى الديار المصرية ليأخذها بعد موت كافور الإخشيدي ، وسير معه العساكر وهو المقدم فتسلمها سنة ٣٥٨ هـ وفيات الأعيان : ٣٧٦/١ .

(٢) هو أبو علي جعفر بن علي بن أحمد بن حمدون الأندلسي صاحب المسيلة وأمير الزاب من أعمال افريقية . قُتل في الأندلس سنة ٣٦٤ هـ . وكان سخياً محباً للعلم .

(٣) هو مَعَدّ بن المنصور العُبيدي ، تسلم الخلافة بعد أبيه المهدي سنة ٣٤١ هـ افتتح قائده جوهر مصر والشام . توفي سنة ٣٦٥ هـ .

(٤) سانية بمعنى ساقية .

الرجل كنا نرجو أن نفاخر به شعراء المشرق فلم يقدّر لنا ذلك »[1] .

أما ثقافته ، فمن الطبيعي أنه اطلع على علوم عصره وخصوصاً ما يتعلق باللغة والأدب والأخبار وأيام العرب ، فحفظ أشعارهم وتمثلها ، كما اطلع على مذاهب المفكرين والفلاسفة ولذلك اتهم بالزندقة ، وفي هذا المجال يشبهونه بأبي العلاء المعري من حيث تحرره وجرأته ، في التحدث عن الدين والحياة والموت . ولكن العَلاَمة الأبرز في مذهبه الفكري ، تشيعه الذي أفرط فيه وبالغ ، فتجرّد من اعتقاداته الدينية واتّبع مذهب الإسماعيلية ، واعتقد ما تعتقده وبالغ ، حتى خرج عن مذهب الجماعة في الأندلس[2] ، أدى به ذلك الاعتقاد أن يتخذ مواقف سياسية متطرفة ، من الدولتين : الأموية والعباسية . فوجّه انتقاداته اللاذعة ، وهجاءه المقذع للقواد والأمراء من كلا الدولتين وحقّر أعمالهم واستصغر شأنهم ، مما يعزز الظن بأن أنصار إحدى الدولتين كانوا وراء قتله .

مكانته :

قال[3] المقري : « الأديب أبو القاسم محمد بن هانيء ، ذخر خطير وروض أدب مطير ، زهت به الأندلس وتاهت ، وحاسنت بدائعه الأشمس وباهت ، فحسد المغرب فيه المشرق ، وغصّ به من بالعراق وشَرَق » .

---

(١) وفيات الأعيان : ٤/٤٢١ .
(٢) نفح الطيب : ٤/٤٠ .
(٣) نفح الطيب : ٤/٤٠ نقلاً عن المطمح .

وقال[1] عنه ابن خلّكان بعد ما أورد له أبياتاً : « وفي هذا الأنموذج دلالة على علو درجته وحسن طريقته ، وديوانه كبير ولولا ما فيه من الغلو في المدح والإفراط المفضي إلى الكفر لكان من أحسن الدواوين، وليس في المغاربة من هو في طبقته: لا من متقدميهم ولا من متأخريهم ، بل هو أشعرهم على الإطلاق ، وهو عندهم كالمتنبي عند المشارقة ، وكانا متعاصرين » . . .

أغراضه الشعرية :

ترك ديواناً شعرياً كبيراً ، أكثره في مدح المعز . وله أيضاً في الأغراض الشعرية الأخرى كالهجاء والغزل والخمريات والرثاء والوصف . ويقال : إن لابن هانىء كتاباً في التاريخ لا يزال محفوظاً في فاس . لذلك سنقصر البحث في ما يلي بآثاره الشعرية من خلال ديوانه الذي بين أيدينا ، وحسب الأغراض والفنون .

المدح :

المدح من الفنون التقليدية في الشعر العربي ، وهو عريق قديم يرتبط وجوده بوجود الشعر في بلاد العرب . ولشعراء المشرق منهج في شعرهم المدحي ، ساروا عليه وطبّقوه في مختلف الأحوال . فمن حيث المضمون ، درجوا على تعظيم الممدوح والرفع من قدره بما يستحقه أو لا يستحقه .

ومن حيث الصور فممدوحهم بحر وغيث وأسد ولا يضاهيه أحد .

---

(١) وفيات الأعيان : ٤/٤٢٤ .

وتحوّل المدح في صدر الإسلام إلى مدح صادق ، لا تزلف فيه أو كذب . وفي العصر الأموي عاد المدح سيرته الأولى كما كان في الجاهلية ، نظراً لتشجيع الحكام ، وفي العصر العباسي نهض المدح مع البحتري وأبي تمّام وأخيراً المتنبي . وهؤلاء جميعاً بالإضافة إلى غيرهم من الشعراء ، مدحوا مدحاً تكسُّبياً غايته تحقيق المنفعة فمدحوا العظماء والخلفاء ، والوزراء وغيرهم على ما يشتهون أن يُمدحوا به . ولكن المتنبي ، تفرّد بأمور منها أنه أدخل الفكر في الأدب ، وذلك لسعة اطلاعه ولعبقريته الفذة ومبالغاته الناتجة عن تعمقه في مذاهب الفلاسفة والشيعة والمتصوفين .

أما في المغرب ، فكان المدح صدى لما يجري في الشرق من جميع النواحي ، وأخص بالذكر صاحب الدراسة ابن هانيء ، الذي اتكأ في مدائحه على القديم من الشعر العربي وعلى ما قرأه وطالعه من أشعار المتنبي فتأثر طريقته ، وحذا حذوه . وقد جمع بينهما قواسم مشتركة منها أن كلاً منهما كان علوي النزعة إلّا أن ابن هانيء كان أكثر غلُواً في تعظيم أئمة الشيعة .

وأهم ممدوحيه : المعز ، وجعفر بن علي وأخوه يحيى ، وأبو الفرج محمد بن عمر الشيباني ، وجوهر الصقلي ثم إبراهيم بن جعفر عامل برقة .

وكان المعز الأوفر حظاً من الأماديح ، وقد جمع له من معاني التعظيم ما لم يجمعه شاعر لممدوحه إلا ما فعله شعراء الشيعة . وقد قال[1] في أول قصيدة مدحه فيها :

---

(١) ديوانه : ٧١ .

وهو الغمام يصوب منه حياتنا		لا كالغمام المستهل ذلوحا
يمضي المنايا والعطايا وادعاً		تعبت له عزماته وأريحا
ندعوه منتقماً عزيزاً قادراً		غفّار موبقة الذنوب صفوحا

إذاً ، ممدوحه كالغيم ، ولكن ليس في إنعاش الأرض ، إنما هو يعطي ويهب وينعش النفوس ، وهو شجاع قوي واسع الخلق ، ويتمتع بقدرة تمكنه من أعدائه فيسحقهم وينتقم منهم ، ويعفو وهو قادر . ونلاحظ في البيت الثالث الصفات التي استخدمها ووصف ممدوحه بها ، وهي كلمات تعبر عن صفات إلهية . فالله تعالى هو العزيز الجبار المنتقم والذي يغفر الذنوب ، ولم يستعمل الشاعر هذه الألفاظ عن طريق الصدفة ، بل عبّر عن فلسفة يعتقدها في تعظيم إمامه ، فيحشد له من صفات التعظيم ما ليس له ويفضله على الناس أجمعين ، ويعلو ويتصعد في تصوير شخصيته إلى حد الخيال وبشكل لا يقبله عاقل ، وبما يتعارض مع عقيدة التوحيد ، يقول[1] في قصيدة أخرى :

ما شئت لا ما شاءت الأقدارُ		فاحكم فأنت الواحدُ القهّارُ
وكأنما أنت النبي محمّدٌ		وكأنما أنصارك الأنصار
أنت الذي كانت تبشّرنا به		في كُتْبِها الأحبار والأخبار
هذا إمام المتقين ومَنْ به		قد دُوِّخَ الطغيانُ والكفّارُ

فطوْراً ينزل ممدوحه بمنزلة النبي محمد ﷺ ، وطوراً يجعل إرادته نافذة في كل الأحوال ، وهو لا يثنيه عن عزمه شيء ، وفي هذا

---

(١) الديوان : ١٤٦ .

المعنى كفرٌ صريح ومخالفة لعقيدة أهل الحق . وفي البيت الرابع ، يجعل ممدوحه وحيد زمانه في التقى والعدل وقتال الكفّار . والأمر المميز هو استعمال صفة أو أكثر من صفات الله تعالى في كل مقطوعة مدحية في محاولة منه للرفع من شأن الممدوح ، فوق مستوى غيره .

وفي المعنى ذاته يقول[1] :

أرى مدحه كالمدح لله إنه قنوتٌ وتسبيحٌ يُحَطُّ به الوِزْرُ

ويقول[2] في قصيدة أخرى :

هو علة الدنيا ومن خُلقتْ له ولعلةٍ ما كانت الأشياءُ

وفي معنى الأفضلية يقول :

يا أفضلَ الناس من عُرْبٍ ومن عَجَمٍ
وآلِ أحمدَ إنْ شبّوا وإن شمطوا

وهو لا يكتفي بجعل ممدوحه في درجات عليا ، لكنه يتجاوز ذلك انسجاماً مع العقيدة الشيعية القائلة بعصمة الإمام ، فهو نقي مطهّر ، مظفّر منتصر مؤيّد ، وهو ، برأيهم يعلم بالظاهر وبالباطن ، ويشفع لأوليائه يوم القيامة . ثم إن هذه الهالة العظيمة لم تكن فقط للإمام بل لآل البيت جميعاً ، قال[3] في هذا المعنى :

---

(١) الديوان : ١٣٥ .
(٢) الديوان : ١٢ .
(٣) الديوان : ١٥٠ .

أبناء فاطمَ هل لنا في حشرنا — لجأ سواكم عاصم ومجارُ
أنتم أحباء الإله وآله — خلفاؤه في أرضه الأبرار
أهل النبوة والرسالة والهدى — في البينات وسادة أطهار
إن قيل من خيرُ البرية لم يكن — إلّاكم خلقٌ إليه يُشار

الفاطميون ، وآل البيت أحباء الله ، على حد ما ذهب إليه الشاعر ، وهم الصفوة المختارة ، وليس من الناس خير منهم ، وهم خلفاء الله في الأرض وفيهم النبوة والرسالة . وتذكرنا هذه الأبيات ، بأبيات للفرزدق يقول(1) :

من معشر حبهم دين وبغضهمُ — كفر وقربهمُ منجى ومعتصمُ
إن عُدَّ أهل التقى كانوا أئمتهم — أو قيل من خير أهل الأرض قيل هم

إذاً ، أهل البيت ، بما أعطاهم الله ، من الفضل والعلم والإيمان والصلاح ، أهل ليكونوا خلفاءه على الأرض ، فهم السادة وغيرهم لا يدانيهم شرفاً أو فضلاً .

وقال(2) يمدح جعفر بن علي وأخاه يحيى :

وما كانت الأيام تأتي بمثلكم — قديماً ولكن كنتم بيضة العُقرِ(3)
وما المدحُ مدحاً في سواكم حقيقةً — وما هو إلا الكفرُ أو سببُ الكفرِ

إنه ، في البيتين ، يجعل مدح جعفر واجباً عليه ، وليس من

---

(1) ديوان الفرزدق : ٥١٣ .
(2) ديوانه : ١٥٩ .
(3) بيضة العقر : مثل يضرب للشيء لا يكون إلا مرة واحدة .

الإنصاف ، على رأيه أن يُمدح غيره هو وأخوه ، وإن حصل ذلك ، فيزعم الشاعر أنه يوقعه في الكفر والعياذ بالله ، وواضح هنا ما في هذا الكلام من الغلو .

وللمعز ، على زعم الشاعر ، من قوة البصر والبصيرة أن يرى ، من الحوادث ما هو حاصلُ اليوم ، وما يحدث في غد قال[1] :

كأنك شاهدتَ الخفايا سوافراً
واعجلتَ وجهَ الغيبِ أنْ يتسترا

فعُرّفتَ في اليومِ البصيرةَ في غدٍ
وشاركت في الرأي القضاءَ المقدّرا

مع كل هذه المغالاة ، فإن الشاعر ، لم يهمل الصور التقليدية الأخرى في المدح ، بل هو اتكا على بعضها في مبالغاته ، يقولُ[2] :

والمشرقات النيِّراتُ ثلاثة : الشمس والقمر المنيرُ وجعفرُ

وقد جعل جعفر بمنزلة كل من الشمس والقمر .

وقال[3] يمدح المعتز :

ذو هيبة تُتقى من غير بائقةٍ وحكمةٍ تُجتنى من غيرِ تعقيدِ
إن كان للجودِ بابٌ مُرتَجٌ غُلُقٌ فأنت تدني إليه كلَّ إقليدِ

ولم يقتصر ابن هانىء على المعاني التقليدية في المدح ، ولم يكن المتنبي وحدَه رائده وأستاذه ، لكنه ذهب أيضاً مذهب المصنعين

---

(1) ديوانه : ١٤٥ .
(٢) ديوانه : ١٦٥ .
(٣) ديوانه : ٩٥ .

فخرج عن المألوف وجاء بأخيلة وصور جديدة كقوله[1] في مدح جعفر بن علي :

فُتِقَتْ لكم ريحُ الجلاد بعنبرٍ وأمدّكم فَلَقُ الصباح المسفرِ
وجنيتم ثمرَ الوقائعِ يانعاً بالنصرِ من ورقِ الحديدِ الأخضرِ

فالمعارك كالعاصفة تهب فتفوح معها روائح العنبر ، والمعز ، يهب مع الصباح مبكراً ، ليجني النصر بالسيوف ، التي صورها الشاعر وكأنها شجر له ورق وثمر .

الرثاء :

كما كانت حال ابن هانىء في المدح ، هو ، في الرثاء ، يجمع بين التيارات المختلفة من حيث الدقة في التصوير والإتيان بالأخيلة الغريبة ، ومما يتميز به في مرثياته ذم الدهر وإبداء التذمر ، والشكوى من الحياة ومن كل ما ينغص على الإنسان . قال[2] في رثاء ولد لإبراهيم بن جعفر بن علي :

وهب الدهر نفيساً فاسترد رُبما جاد لئيم فحسدْ
خاب من يرجو زماناً دائماً تُعرَفُ البأساء منه والنكدْ
مات من لو عاش في سرباله غلب النور عليه فاتّقدْ
هابَ أن يُجري عليه حُكمَه فنوى الغدر له يومَ وُلدْ

وهذه المعاني في الرثاء ، ليست جديدة كل الجدّة ، ولكنه بالغ

(1) ديوانه : ١٦١ .
(2) ديوانه : ١٢٠ .

في شكواه ، وكأن الدّهر عدوه اللدود ، وحمّله مسؤولية ما يجري للناس وما يصيبهم من آلام ، فالروعة إذاً هي في التوليد والابتكار أكثر مما هي في المعاني . ثم تجري القصيدة بعد ذلك ، وهي طويلة ، وأهم ما فيها من المعاني ما يدور حول الصبر والجلَد لأن الموت أمر لا بد لكل إنسان أن يرِده يقول(١) :

لا رجاء في خلودٍ كلّنا وارِدُ الماءِ الذي كان ورَدْ

ويوجه الخطاب المباشر إلى أبي أحمد إبراهيم بن جعفر يواسيه ويدعوه إلى التصبر(٢) :

يا أبا أحمد والحكمةُ في قولِ من قال إلى الله المرد
لا ملومٌ أنت في بعض الأسى غيرَ أنّ الحر أولى بالجَلَدْ
لو يَرُدُّ الحزنُ ميتاً هالكاً رُدَّ قحطانُ وأُدُّ بن أُدَدْ(٣)

وفي نهاية القصيدة يقول(٤) :

كلنا نشبعُ من كأس الردى غير أنّا لا نرانا نستبد
فلقد أسْرَعَ ركبٌ لم يُعج ولقد أدبر يومٌ لم يعُدْ

والملاحظ في الأبيات السالفة جميعها ، أنه لم يلجأ إلى الطريقة التقليدية في الرثاء ، تلك التي تعتمد التركيز على فضائل الميت . ولعله لم يفعل ذلك لأن المتوفى كان طفلاً . أما العاطفة ، فضعيفة

---

(١) ديوانه : ١٢٠ .
(٢) ديوانه : ١٢٤ .
(٣) قحطان وأد : من أجداد العرب .
(٤) ديوانه : ١٢٨ .

وليس هنالك ما يدل على أن الشاعر مفجوع ، لانعدام صلة القرابة ، على خلاف ما نراه في رثاء ابن الرومي مثلاً لولده الذي بكاه بكاءً شديداً ، وصوّر آلامه واحتضاره ، ثم اشفق على نفسه إذ إنه لم ينفطر لموت ولده . ولكنه يشترك مع ابن هانيء في الشكوى من الدهر يقول ابن الرومي :

لقد أنجزت فيه المنايا وعيدها وأخلفتِ الآمالُ ما كان من وعدِ

ويقول[1] ابن هانيء :

حيث لم يُنظِرْ به ريْعانَه إنّما استعجله قبل الأمد

وفي رثائه[2] لوالدة جعفر ويحيى ابني علي :

خَرِست لعمرُ اللّه السُنُنا لما تكلّم فوقَنا القدَرُ
ها إنها كاسٌ بشِعْتُ بها لا ملجأ منها ولا وزر
دنيا تجّمعنا وأنفسنا شذر على أحكامها مذرُ[3]
ما الدهرُ إلاّ ما تُحاذِرُه هفواتُه وهناتُه الكُبَرُ

يعلن ابن هانيء استسلامه للقضاء والقدر ، ويعتبر أن الموت كأسٌ سيشربها الجميع ، ولا بد من التفرق بعد الاجتماع ، والدهر كالأسد المفترس ، في كل يوم له فريسة . ينتقل ، بعد التذمر والشكوى ، إلى التنويه بفضائل تلك المرأة فيذكر كرمها وجودها وصلاحها ، والقبر الذي ضمها يفتخر بأنها فيه يقول[4] :

---

(١) ديوانه : ١٢٤ .
(٢) ديوانه : ١٦٦ .
(٣) شذر مذر : متفرقة .
(٤) ديوانه : ١٦٨ .

أعقيلةَ المِلكِ المشيِّعها ! هـذا الثناءُ وهـذه الـزُّمَـرُ
كم من يـدٍ لـكِ غيـرِ واحـدةٍ لا الدمعُ يكفرها ولا المطرُ[1]
شهِدَ الغَمام وإنْ سقاكِ حياً أن الـغمـامَ إلـيك مفـتـقـر

ويعبر بعد ذلك عن مدى الحزن الذي يعتمل في نفسه ، إنها عاطفة تغلي غلياناً ، ويصف مشهد الذين تجمعوا مشيّعين ، فهم يذرفون الدموع من العيون كما يسيل الدم من مناحر الإبل لغزارته ، والنار تحت الضلوع ، والأنفاس وكأنها شرر ، وإن الموقف لهوله ، لِمَّا جعل الحديد الصلب يشارك في الحزن ويذرف الدمع ، فكلّت السيوف وتعطلت وجاءت ذليلةً معتذرة[2] :

سفحتْ دماءُ الـدارعين بهـا حتى كـأنّ جفـونَهـم تُغـرُ
وحَنَـوْا على جمـرٍ ضلوعَهم فـكـأنّمـا أنـفـاسُهـم شَـررُ
فكـأنمـا نـامـت سيـوفـهم واستيقـظت من بعد ما وُتـروا

ومهما بلغ الحزن من هؤلاء القوم ، أي ابناء علي ، فإنهم لا ينهارون ، ولا يستسلمون تحت النوائب ، فهم كمايقول[2] عنهم :

وبنو عليٍّ لا يُقال لهم : صبراً ، وهم أسدُ الوغى الصُّبُرُ[3]

وأمهم إذ تفارقهم ، فهم لا يحتاجون إلى من يواسيهم ، لأنهم عظماء النفوس أقوياء على الشدائد ، وأمهم تغادر الدنيا لتلتحق

---

(١) يكفرها : ينكرها .
(٢) ديوانه : ١٦٩ .
(٣) الصبر : الواحد الصبور : الأسد الشديد .

بالإمام علي رضي الله عنه . ويعود الشاعر بعد ذلك ليذكُر بدورها العظيم ، في حياتها ، فهي أورثت ابناءها العلم والحكمة والمجد :

قسمت على ابنيهـا مكـارمَهـا   إن التراثَ المجدُ لا البـدَرُ[1]

وفي هذا البيت نظرية هامة في المجد ، يبثها الشاعر ، فالمـال عنده ، على ما يظهر من خلال هذه القصيدة وغيرها ، لا قيمة له ، إذا تحققت الآمـال العظيمـة في المكـارم والفضـائـل وفي تحقيق الانتصارات على ساحات الوغى .

وخلاصة القول ؛ لقد أجاد ابن هانيء في الأبيات السالفة الذكر ، لما فيها من حسن الصنعـة ، ودقة التصـوير ، ووضـوح الفكرة ، فضلاً عن طريقته الفنية في التوليد ، واستخراج الأفكار بعضها من بعض ، للوصول إلى مواعظ أو حكم ، مستمدة من وحي المناسبة وتتسم بالصدق والشمولية ، يقول[2] :

فجـزعت حتى ليس بي جـزع   وحـذِرتُ حتى ليس بي حَـذَرُ

إن البيت يمثل خوف الإنسان من الموت ، هـو خوف مـا بعده خوف ، لأنه يضع المرء على مفترق خطير ، ولا خيار له ، إلا أن يواجه مصيره بنفسه ، أما الحذر الذي يتحدث عنه فلا يغني ولا ينفع إلا إذا كـان بمعنى إعداد الـذات لمثل تلك اللحـظات حين ينتقل الإنسان إلى الحياة الأخرى .

---

(١) البدر : جمع البدرة وهي الكمية من المال .
(٢) ديوانه : ١٧٠ .

الحكمة :

وهي وليدة التجربة والخبرة في الحياة والناس ، وتصدر الحكمة عن رجل مثقف واعٍ متعلم ، وقد يكون للسن أثرٌ في إصدار الحِكم والمواعظ التربوية الأخلاقية والتعليمية بقصد النقد والإصلاح . وترتبط الحكمة من جانب آخر بالدين والفلسفة ، فالدين يوجه ويسدد ، والفلسفة تكسب الواعظ الحكيم عمقاً وبعداً فكريين ، يرتبطان بالعقل والمنطق . وابن هانيء لا يُعد حكيماً بالمعنى الذي نعد من خلاله المتبني وأبا تمّام ، ولا هو واعظ كأبي العتاهية فالفرق شاسع بينهما . ولكنه عبّر عن واقع الحياة ، من خلال تجاربه الخاصة تعبيراً صادقاً ، وهي أقرب إلى التأملّات والخواطر منها إلى الحكمة العميقة .

ومن هذه الحكم قوله[1] :

ولم أجد الإنسان إلا ابن سعيه
فمَنْ كان أسعى كان بالمجد أجدرا

وبالهمة العلياء يُرقى إلى العلى
فَمَن كان أرقى همة كان أظهرا

ولم يتأخّر من يريد تقدُّماً
ولم يتقدّم من يريد تأخُّرا

وتجربته الإنسانية ، ترتبط بثقافته وبتربيته وبمذهبه الديني والسياسي ، فجاءت الحكم انعكاساً لكل هذه الأمور ، تماماً كالمتنبي الذي كان يستمد الحكمة من واقع الحال ، خصوصاً في

(١) ديوانه : ١٤٤ .

حالات وصفه للحرب ، أو مدح رجل عظيم أعجب به وبأفعاله ، إن شاعرنا ، ابن هانيء أصدر هذه الأبيات الثلاثة وغيرها ليثبت بأن المجد يستحق أن يسعى إليه المرء ، والمجد هو أن يسعى القواد والعظماء لنيل رضى ممدوحه وقائده ، أي المعز وجوهر الصقلي ، وهكذا ، يأتي بالحكمة ، ليتخلص منها إلى إثبات المجد والقوة لممدوحه ، والفرق بينه وبين المتنبي أن الثاني كان يأتي بالحكمة في افتتاحيات القصائد المدحية ، للدلالة على هول الموقف ، وجدية الحديث وصدق المقال . أما ابن هانيء ، فلم يلتزم بهذا المنهج كما هي الحال في مدحه للمعز وذكره لهدية جوهر ، هذه القصيدة افتتحها بقوله[1] :

ألا هكذا فليُهْدِ من قاد عسكرا   وأوردَ عن رأي الإمامِ وأصدرا

وانتقل إلى وصف الهدية التي أرسل بها جوهر إلى ملكه المعز وهي من الإبل السمينة العظيمة ، والخيول الضمّر ، وقد أفاض وتوسّع في وصفها ، وسنعود إليها عند الحديث عن الوصف .

ومن تأملاته في افتتاحيات قصائد الرثاء قوله[2] :

ألا كلُّ آتٍ قريبُ المدى   وكلُّ حياةٍ إلى منتهى
وما غرَّ نفساً سوى نفسِها   وعمرُ الفتى من أماني الفتى

وهكذا ، تجود قريحته بالموعظة ، إذا شهد مناسبةً فيها ما يعيد النفس إلى رشدها ، وهل هنالك ما هو أعظم مناسبةً من الموت ليتعظ به ويعظ غيره !؟

---

(١) ديوانه : ١٤٠ .
(٢) ديوانه : ٢٧ .

وقال[1] في ختام قصيدة رثاء :

وإذا صحبتَ العيشَ أوّلَه ... صفوٌ فهيْن بعده كدرُ
وإذا انتهيت إلى مدى أمل ... دَرْكاً فيومٌ واحدٌ عُمُرُ
ولخير عيش أنت لابسُه ... عيشٌ جنى ثمراتِهِ الكِبَرُ
ولكلِّ سابقِ حلبةٍ أمَدٌ ... ولكل واردِ نهلةٍ صدرُ
والمرءُ كالظلِّ المديدِ ضُحىً ... والفيء يحسره فينحسرُ

ولعمري ، إن الشاعر قد خبر الحياة وفهمها على حقيقتها ، ويبدو مشاركته للمتنبي في النظرة تجاه الزمان والعيش من خلال البيت الأول ، والمتنبي يقول في الزمان :

ربما تحسنُ الصنيعَ لياليه ... ولكن تكدِّرُ الإحسانا

وقد فهم بعض النقّاد هذا البيت على أنه سوء ظن بالزمان ، وقد يكون الأمر كذلك ، وقد ينطوي على تشاؤم وسويداء من كل شيء .

الوصف :

وهو فن التصوير ، إذ ينقل الشاعر المشاهد المرئية أو المتخيّلة ، على شكل لوحات رائعة يضع تفاصيلها بالكلمات المنظومة . والوصف من الفنون القديمة ، عرفه شعراؤنا في الجاهلية فوصفوا الناقة والأسد والخمرة وغير ذلك مما كانت تقع عليه عيونهم ، وتطور الوصف في العصرين التاليين ، إلّا أنه لم ينفصل عن غيره من الفنون ، أي ما زال يشكل جزءاً من قصيدة طويلة مدحية غالباً ،

---

(١) ديوانه : ١٧٠ .

ولكنه استقل في العصر العباسي مع شعراء من أمثال ابن الرومي وابن المعتز وأبي تمام والمتنبي ، ومن بعدهم من كان أبرع منهم في هذا المجال كالصنوبري والسري الرفاء وغيرهما . هذا في المشرق ، أما في المغرب ، فقد عرف الوصف تطوراً ملحوظاً وقد ساعد على ذلك طبيعة البلاد الجميلة الخلّابة ، والأمنُ والثراءُ . وبرز شعراء كثيرون منهم من قلّد شعراء المشرق وتلقبوا بألقابهم كابن زيدون وابن عبد ربه وغيرهما . أما موضوعات الوصف فتتمثل بالطبيعة ، والسيف والقلم . والخمرة ووصف القصور ، والمعارك وغير ذلك مما كان يحيط بالشعراء .

وكان من الطبيعي أن يشارك ابن هانيء زملاءه في الوصف فتناول الخمرة، وصفها وتغزل بها ، ووصف مجالسها ، كما وصف العيس والخيول ، ووصف الحرب ، والنجوم وغير ذلك مما كان يلفت انتباهه ويستحث شاعريته كالأزهار والورود وغير ذلك من صنوف الجمال . قال[1] :

الوردُ في رامشْنَةٍ من نرجسٍ ... والياسمينُ وكلهن غريبُ[2]
فاحمرّ ذا واصفرّ ذا وابيضّ ذا ... فبدتْ دلائلُ أمرهن عجيبُ
فكأنّ هذا عاشقٌ وكأنّ ذا ... كَ معشّقٌ وكأنّ ذاك رقيب

فالنرجس غدا شخصاً يعشق ويصفرّ لونه خجلاً والورد معشّقٌ لاحمراره ، وبات الياسمين الأبيض رقيباً .

وفي زيارة له إلى دكان الخمّار ، يصف معاقرته للخمرة ويتحدث[3] عن جليسه ومجلسه :

(١) ديوانه : ٥٨ .

(٢) رامشنة : ورق آس لها رأسان .

(٣) ديوانه : ٢٣٨ .

إلى دنانٍ صافناتِ السُّوقِ　　　فاستلّها بمنزلٍ رقيقِ[1]
مثل لسانِ الحيةِ الدقيقِ　　　كأنه من صَبغةِ العقيقِ
مضمّخ الكفّين بالخَلوقِ　　　فزفّ لاهوتيةَ الشُّروقِ[2]
لم يبقِ منها الدنُّ للراووقِ　　　إلّا كِياناً ليس بالحقيقِ[3]

ويتابع الوصف فيقول :

ويغرس اللؤلؤ في العقيقِ　　　كأن دُرَّ ثغرهِ الأنيقِ
ألَفَّ من حبابها الفريقِ　　　أو زلّ عن فيه إلى الإبريقِ

فالخمرة إذا مازجها الماء ، هي كاللؤلؤ على العقيق ، وما زال الشاعر يشرب حتى ساعة متأخرة قاربت طلوع الفجر :

ما زلتُ أُسقى غيرَ مستفيق　　　حتى رأيتُ النجمَ كالغريقِ
والصبح في سربالهِ الفتيقِ　　　يرمي الدجى بلحظِ سوذنيقِ[4]

والشاعر يرى أن للجليس صفات معينة لا بد من توافرها ، فيشير إليها بقوله :

ما نفع رأيٍ ليس بالوثيقِ
أو خيرُ عقلٍ ليس بالرشيقِ
ولست أرضى بالأخ المذوقِ
ولا اللسان العذب ذي التزويقِ[5]

---

(١) صافنات السوق : قائمة على سوقها .
(٢) الخلوق : الطيب . زفّ : حمل لاهوتية الشروق : كناية عن الخمرة .
(٣) الراووق : المصفاة . وأراد أنها لكثرة ما صفّيت لم يبق منها شيء .
(٤) السوذنيق : الصقر .
(٥) المذوق : من لا يخلص وده .

وقد أذلُ للأخِ الشفيق كذلة العاشقِ للمعشوق
لا تجزِينَّ البِرَّ بالعقوق واغنَ عن العدو بالصديق
وواصلِ الصُّبوح بالغَبوق[1]

إنه يطلب صديقاً صدوقاً مخلصاً يجالسه ، فيثق به ويستودعه أسراره ومثل هذا يتواضع له الإنسان ، ويذل كما يتواضع العاشق لمعشوقه ولذلك ، على صديقه ، أي جليسه ، أن يستمر برفده بمزيد من الخمرة ليتواصل ليله بنهاره وهو يشرب .

وها هو يصف[2] مجلساً بناه إبراهيم بن جعفر :

الشمس عنه كليلةٌ أجفانها عبرى يضيق بسرّها كِتمانها
لو تستطيع ضياءه لدنتْ له يعشو إلى لمعانه لمعانُها[3]

فالشمس تستضيء بنور ذلك البناء . وإنه يضاهي بعظمته إيوان كسرى ويتفوق عليه وعلى غيره من القصور :

إيوان مُلْكٍ لو رأتْه فارسٌ ذُعِرتْ وخرّ لسمكهِ إيوانها[4]
تغدو القصورُ البيض في جنباته صُوَراً إليه يكلُّ عنه عيانُها
والقبة البيضاء طائرةٌ به تهوي بمنخرقِ الصَّبا أعنانها

إنه بهو عظيم ، تُحتقَر القصور الأخرى مهما عظُمت ، أما قبته البيضاء فشامخة تتلاعب بها رياح الشرق ، والطيور من فوقها تحلق :

---

(١) الصبوح : شراب الصبح . الغَبوق : شراب المساء .
(٢) الديوان : ٣٦١ .
(٣) يعشو : يقصد .
(٤) الإيوان : البهو الكبير .

ضُربت بأروقةٍ ترفرفُ فوقَها فهوى بفتخٍ قوادم خفقانها
علياءُ موفيةٌ على عليائه في حيث أسلمَ مُقلةٌ إنسانُها
بُطنانُها وشيُ البُرودِ وعَصبَها فكأنّما قوهيُّها ظُهرانُها

وهو إذ يذكر الفتخ أو العقبان ، يذهب بعيداً في وصفها ، وعلى طريقة ابن الرومي ، فهي عالية علو ذلك البناء ، والناظر إليها يرى بطن كل منها موّشى كالأثواب الملونة حتى أنها لتبدو وكأن ظهورها ثياب بيضاء قوهية .

وقال[1] يصف الأسطول :

مُعطّفة الأعناقِ نحو متونها
كما نبّهت أيدي الحُواةِ الأفاعيا[2]
إذا ما وردن الماء شوقاً لَبردهِ
صدرن ولم يشربن غرفاً صواديا[3]
إذا أعملوا فيها المجاذيفَ سرعةً
ترى عقرباً منها على الماء ماشيا

إنها سفن ذوات أعناق منعطفة نحو الداخل ، وهي كالأفاعي الحقيقية وهي إذا تحركت مسرعةً ، يبدو منظرها وكأنها عقرب يمشي على صفحة الماء .

وقال[4] يصف الخيل ، وذلك في اطار قصيدة مدح بها المعز :

---

(١) نفح الطيب : ٤/٤٦ .
(٢) الحواة : جمع الحاوي وهو الذي يربي الأفاعي .
(٣) الصوادي : جمع الصادية : العطشى .
(٤) ديوانه : ٣٥٣ .

وصواهل لا الهضبُ يومَ مغارها هضبٌ ولا البِيْدُ الحُزونُ حُزونُ
حيث الحمام وما لهن قوادمٌ وعلى الزُيودِ وما لهن وُكون
ولهن من ورقِ اللجين توجُسٌ ولهن من مُقَل الظباء شُفونُ
فكأنها تحت النُضارِ كواكبٌ وكأنها تحتَ الحديدِ دُجُونُ

إنها خيول قوية ، إذا أغارت لا يثنيها عن عزمها صعود جبل ، أو توغُل في صحراء غليظة ، وإنها لسريعة تسابق الطير .

أما وصفه للحروب والمواقع ، فإنه يتداخل في أكثر الأحيان بالمدح ، كما هي الحال عند المتنبي ، وفي مدحه لجعفر بن علي ، يشير إلى تفرده بالملك ، وإلى جوده وبخل الآخرين ، وإنه شهاب يسطع في الملمّات ويحرق الأعداء . وهو يحارب الأعداء ويقسِّم الأرزاق ، فيجود بالألوف قال[1] :

غداةَ رمى المعشرَ المارقين بصمّاءَ تُوقَصُ منها القِمَمْ
وباتوا يريحون كُومَ اللقاح فصبّحها وهي بِرْكٌ جُثَم
فأضحى بحيثُ الرُغاءُ الزئيرُ وحالتْ بحيثُ الخيامُ الأجم
وذي لجَبٍ يرتدي بالقنا ومعثَر في العِثْيَر المدلهم
وأعطى القبيلَ سَوام القتيل بما فيه من وَبَرٍ أو نعَم

وهكذا تسير القصيدة ، يصور مشهد القتال ، فالملك الممدوح يرمي أعداءه بضربات تتحطم معها قمم الجبال ، وكان فاجأهم في هجومه ، وهم باركون ، فتحولت الأرض إلى ساحة حرب ، وبدلاً من أن تسمع الرغاء صرت تسمع زئير الأسود الغاضبة ، ولم تنته المعركة إلا عن دماء الأعداء قد سقت المكان .

---

(١) ديوانه : ٣٣١ .

فلو نـاقـةً عنـد ذاك انثنتْ لتروي فصيلاً لجـادتْ بدَمْ

وينتقـل بعد ذلـك إلى المفاخـرة بهؤلاء الناس ، أي آل البيت وَيفاخر بـأنه متشيـع ، ويغمز من جـانب القوى الأخـرى في الشام والعراق ويختتم بتفاخره بأنه من العرب الراكم .

وفي قصيدة له ، وصـف الخيل والإبل ، وكان جوهر قدمها هدية للمعز فقال يمدح ويصف[1] :

ألا هكذا فلتْجلب العيس بُدْناً ألا هـكذا فلتجنَب الخيلُ ضُمَرا
مـرقَلةً يسحبن أذيـالَ يُمنـةٍ ويركضن ديباجاً ووشياً محبَـرا
تـراهن أمثال الـظبـاء عـواطيـا لبـين بيبـرين الـربيـع المنـوَرا

يبدي الشاعر إعجابه بالعيس السمينـة وبالخيـل الضامـرة ، لأن هاتين الصفتين من الصفات المفضلة في كل من الإبل والخيل . وقد أطلّت وهي ترفل بثياب ملونة وكـأنها ظبـاء أو فتيات تتهـادى على مهل ، فلم يبقَ أحدٌ إلا وهو ينظر إليها متعجباً مسحوراً .

فكم قائل لما رآها شـوافناً أما تركوا ظبياً بتيمـاء أعفرا[2]

وفي صفة الخيل قال في القصيدة ذاتها :

وما خلتُ أن الروض يختال ماشياً
ولا أن أرى في أظهر الخيل عبقرا

---

(١) ديوانه : ١٤٠ .

(٢) شوافن : جمع شافن : الذي ينظر بمؤخر عينه متعجباً .

غداة غدتْ من أبلقٍ ومجزّع
ووردٍ ويحموم وأصدى وأشقرا
ومن أدرَعٍ قد قُنّع الليل حالكاً
على أنه قد سُربلَ الصبح مُسفرا

والخيول ، أطلّت بالألوان الزاهية من وشيٍ ، ومن ألوانها الأصلية المختلفة فمنها الأسود والأبيض ، ومنها الأحمر ، ومنها الأشقر وغير ذلك ، فكأنما أمام روضٍ أو معرض للألوان الطبيعية .

ويتابع في الأبيات التالية مشيراً إلى ألوانها الغامقة والمشرقة الناصعة ، ولا يخفي أن يبدي إعجابه بما رأى فيقول :

يُقر بعيني أن أرى من صفاتها
ولا عجبٌ أن يعجبَ العين ما ترى

ويبدو من خلال هذه الأبيات ، أن الشاعر كان يميل إلى مذهب المتصنعين ، ذلك المذهب الذي قوي وراج في العصر العباسي وخصوصاً في العراق ، فالشاعر الأندلسي ، وابن هانىء تحديداً لم يستطع أن يفلت من ذلك التيار أو أن يهرب منه بعيداً ، فتشبيه الحيوانات بالنساء تارة وبالظباء طوراً ، واستعارة الصفات البشرية لها أمر على ما فيه من الغرابة لأول وهلة ، إلا أنه قد وفق في بعض صوره للغاية :

وجرّرنَ أذيال الجمان سوابغاً فعلّمن فيهن الحسان تبختُرا

أما نوعية الصور التي استخدمها من حيث جدتها أو قدمها ، فهي قديمة المنشأ ، حديثة الإخراج ، فالمعروف أن النساء كن يشبّهن

بالظباء ، وليس أن تشبّه الإبل والخيل بالنساء والظباء معاً ! إذا يستمد الشاعر صوره من الجاهليين ، ومن معاصريه في المشرق ، ومن بيئته ، ثم يصقل كل ذلك بشاعريته الفذّة ، وهو في النهاية شاعر مطبوع ، إلا أنه لا يتوقف عند حدود معينة ، إنه يتتبع الصور ويولدها توليداً أو يخرجها من حيث قصّر الآخرون ، فانظر إليه في وصفه للنجوم[1] :

كأن رقيبَ النجم أجدلُ مرقبٍ
يقلِّب تحتَ الليل في ريشه طرْفا[2]

كأن بني نعشٍ ونعشاً مطافلٌ
بوجرة قد أضللن في مهمهٍ خشفا[3]

كأن سهيلاً في مطالع أفْقِهِ
مُفارقُ إلفٍ لم يجد بعده إلْفا[4]

وتسير الأبيات على هذه الشاكلة ، وقد حشد الشاعر ، ما استطاع من المهارات اللغوية والبلاغية خصوصاً في مجال التشبيهات ، فقد كرر أداة التشبيه « كأن » في بدايات الأبيات ما يزيد على عشر مرّات ني القصيدة ، وفي ذلك من التكلف الواضح ما يشير إلى تأثر لشاعر بمذاهب المشرقيين المتكلفين ، كأبي تمّام والمتنبي . وهو

---

(١) ديوانه : ٢٠٩ .

(٢) رقيب النجم : هو النجم الذي يغيب بطلوع النجم الذي يراقبه . الأجدل : الصقر .

(٣) بنات نعش : سبعة كواكب . . المطافل : ذوات الأطفال من الإنس والوحش وأراد بها الظباء . وجرة : موضع بين مكة والبصرة .

(٤) سهيل : كوكب يماني .

لم يقتصر على التشبيهات بل الصور والأخيلة التي أفرط فيها :

كأن عمودَ الفجرِ خاقانُ عسكرٍ
من الترك نادى بالنجاشي فاستخفى[1]

الغزل :

وهو من الفنون المغرقة في القدم ، عرفه الجاهليّون ، واستفتحوا به قصائدهم ، فذكروا الحبيبة وبكوا لفراقها ، وتابعهم شعراء العصرين التاليين في صدر الإسلام وعصر بني أمية ، ولكن عمر بن أبي ربيعة ، استطاع أن يخرج هذا الفن من دائرة التبعية إلى استقلالية تامة ، فتغزل بالمرأة غزلاً إباحياً ، لم يرتبط بأي فن من الفنون الأخرى . وفي الأندلس سار الشعراء على منهج إخوانهم في المشرق من وجهين : من حيث افتتاح القصائد بالغزل ثم التخلص بعده إلى المدح أو غيره ، والوجه الثاني في التغزل على طريقة ابن أبي ربيعة أو غيره كجميل بثينة .

أما ابن هانىء فقد تغزل بالمرأة غزلاً إباحياً ، من ذلك ما افتتح به قصيدة[2] يمدح فيها جعفر بن علي :

والله لولا أن يسفِّهني الهوى ويقولُ بعضُ القائلين تصابى
لكسرتُ دُملجَها بضيق عناقِها ورشفت من فيها البَرودِ رُضابا
بنْتُم فلولا أن أغيـرّ لمتي عبثاً وألقاكم عليّ غضابا
لخَضَبْتُ شيباً في عذاري كاذباً ومحوت محو النِّقس عنه شبابا

(١) شبه عمود الفجر بملك الترك لبياضه . وشبه الليل بملك الحبشة وهو النجاشي لسواده .

(٢) ديوانه : ٤٩ .

إنه يعرب عن شوقه للحبيبة ، ويتمنى وصالها ، وعناقها وتقبيلها ، ولكنه يخشى أن يقال فيه بأنه تصابى ، لذلك قد يكون الحل في أن يغيّر بياض لمته ويصبغه بالسواد . وتراه يشير في مكان آخر إلى أنه لا يذكر النساء إلا « خطرة » ولا يلهو إلا « تصنعاً » ولا يصبو إلا « تكلّفاً » ، ولا أرى ذلك تعففاً منه ، إلا أنه صار يأخذ عمره المتقدم بعين الاعتبار ، وهو كان نال من صحبة النساء ومعاشرتهن في شبابه الكثير ، يقول[1] :

فأما وقد لاح الصباح بلمتي ... وانجاب ليلُ عمايتي وتكشّفا
فلئن لهوتُ لألهونَّ تصنُّعاً ... ولئن صبوتُ لأصبوَنَّ تكلّفا
ولئن ذكرتُ الغانياتِ فخطرةً ... تعتادُ صبّاً بالحسانِ مكلّفا
فلقد هززتُ غصونَها بثمارها ... وهصرتُهن مهفهفاً فمهفهفا
والبانُ في الكثبان طوعُ يدي إذا ... أومأتُ إيماءةً إليه تعطّفا

وفي مقطوعة[2] أخرى ، لا يستحي أن يصرّح بجانب من مغامراته .

عَبَرات تحثُّها زَفَرات ... هن عنه بألسُنٍ ناطقاتُ
ويحه إذ أطاعه جيدُ ظبيٍ ... ولَواهُ إلى الهوى مُنصِتاتُ

وأراد أنه أحب وعانق محبوبه .

الهجاء :

ارتبط الهجاء قديماً بالصراعات القبلية ، ثم بالنزاعات السياسية

---

(١) ديوانه : ٢٠٢ .

(٢) ديوانه : ٦٠ .

والمذهبية والعقيدية ، فقد تهاجى الكفار والمسلمون في صدر الإسلام ، وفي العصر الأموي اتخذ الهجاء منحيين : احدهما هجاء قبلي عصبي ، والآخر سياسي ولكنه لا يخلو من خلفية قبلية ، وذلك أن بني أمية شجعوا الشعراء على مدحهم فمدحوهم بما يرضيهم وتنقصوا غيرهم من أعدائهم ، وقد عمل بعض حكام الأمويين على تأجيج الصراعات القبلية والفئوية ووقفوا إلى جانب بعضها ، فهب الشعراء من كل ناحية كلٌ يدافع عن الحزب أو الفئة التي ينتمي إليها . أما في العصر العباسي فقد تحوّل الهجاء إلى هجاء مقذع جداً تناول فيه بعضهم المقابح الخَلْقية والخُلُقية ، كابن الرومي والمتنبي ، ولو أن المتنبي لم يُكثر في الهجاء ، ولكن يكفيه ما جاء على لسانه في هجاء ضبّة من سب وشتم. أما في الأندلس، فإن الهجاء ، كغيره من الفنون الأخرى ، كان صدى لما في المشرق من حيث الدوافع والمؤثرات ، إلاّ أنه يختلف قليلاً من حيث الصور والمعاني والأساليب . وابن هانيء قد هجا لسببين ، كما يبدو ، من خلال ديوانه : أولاً لأسباب سياسية مذهبية وثانياً لأسباب خاصة .

وأكثر أهاجيه السياسية كانت موجّهة ضد بني أمية ثم نحو العباسيين . يقول[1] في بني أمية في معرض مدحه للمعز :

خابت أميّة منه بالذي طلبت
كما يخيبُ برأس الأقرعِ المشُطُ
وحاولوا من حضيض الأرض إذ غضبوا
كواكباً عن مرامي شأوها شمطوا[2]

(١) ديوانه : ١٨٤ .

(٢) شمطوا : بعدوا .

ويتابع القصيدة مادحاً الفاطميين ومعرِّضاً بأعدائهم :

هذا وقد فـرّق الفرقـانُ بينكما　　بحيث يفترق الرُّضوان والسُّخَطُ
الناس غيركُمُ العُرقوب في شَرَفٍ　　وأنتم حيثُ حَلَّ التاج والقُرْطُ
إن الملوك إذا قِيسوا إليك معاً　　فأنت من كثرةٍ بحـرٌ وهم نُقَط

وفي قصيدة أخرى يمدح المعز ويعـرِّض بالعباسيين ، ويفضِّل الطالبيين عليهم فيقول[1] :

لكم دولة الصِّدق التي لم يَقُم بها　　نُتيلةُ والأيامُ هُوجٌ ركائكُ[2]
إماميّةٌ لم يُخزِ هارونُ سعيَها　　ولا أشركتْ بالله فيها البرامك[3]

من الواضح أنه يفاضل بين دولة المعز الشيعية الإمامية ، ويصفها بدولة الصدق ، وهي دولة قامت ، بنظره ، على القوة ، وعلى خلاف مـا كانت عليـه دولة بني العبـاس ، ومـا تخبـطت فيـه من ضعف واضـطراب وفتن على حد تعبير الشاعر ، ولا ريب في هـذا من المبالغة ما فيه ، ولكنه كعادته ، يرفع من شأن ممدوحيه بالانتقاص من الآخرين . وفي القصيدة ذاتها يعرِّض ببني أميّة[4] :

ومـا عَـرَفتْ كرَّ الجيـادِ أُميـّةٌ　　ولا حَمَلَتْ بزَّ القنا وهو شابك
ولا جرّدوا نصلاً تُخاف شَباتُـه　　ولكنّ فـولاذاً غـدا وهـو آنك

(١) ديوانه : ٢٤٤ .
(٢) نتيلة : أراد بني العباس ونتيلة اسم جدتهم .
(٣) هارون : الخليفة الرشيد . البرامك : وزراء الرشيد : منهم جعفر بن خالد .
(٤) ديوانه : ٢٤٤ .

ولم تَدْمُ في حربٍ دروعُ أميّةٍ ولكنهم فيها الإماءُ العسوارك
إذا حَضَروا المدّاحَ أخجِل مادِحٌ وأظلم دَيجورٌ من الكُفرِ حالك

فقد هجاهم وأوجعهم ، إذ جرّدهم من الشجاعة ، فهم ليسوا رجال حرب ولا يجيدون استخدام السلاح ، والسلاح ، إن حملوه ، يتحول فولاذه إلى رصاص ، أي أنه عديم الفاعلية ، وإذا خاضوا حرباً ، فإن دروعهم لا تلطخ بدم ، لأنهم لا يتقربون حيث يحوم الموت ، لذلك هم ليسوا رجالاً بل نساء ، وهذا المعنى في غاية الإقذاع .

ويقارن مرة أخرى بين العباسيين والطالبيين ، فيشير إلى فضائل الإمام علي رضي اللّه عنه ويفضله على العباس بن عبد المطلب :

أفي ابنِ أبي السِّبطين أم في طليقكم
تنزّلتِ الآياتُ والسُّوَرُ الغُرُّ(١)

ولا يخفى على القارىء ما يخفيه البيت من استخفاف ببني العباس ، ولكنه لا يكتفي بهذا الحد ، يتصاعد بالصورة فيقول :

بني نثلةٍ ما أورثَ اللّهُ نثلة
وما نَسَلَتْ هل يستوي العبد والحرُّ
وأنى بهذا وهي أعْدَتْ برقّها
أباكم فإياكم ودعوىً هي الكفرُ
ذروا الناس رُدُّوهم إلى مَن يَسوسهم
فما لكمُ في الأمرِ عُرفٌ ولا نُكرُ

---

(١) ديوانه : ١٣٢ . وابن أبي السبطين : الإمام علي . الطليق : العباس .

لقد استصغر شأنهم ، واتهمهم بالرق والعبودية ، وبما أنهم عبيد ، أرقاء ، فهم ليسوا أكفاء ليكونوا في السلطة من وجهة نظره ، فسياسة العباد ، برأيه تحتاج إلى أهل الهدى والصلاح ، وليس إلى مَن يذلُّ الناس .

ولم تتوقف حملته على الأمويين ، أو تقتصر على التعريض والانتقاد ، لكنه أعلن بأن وجود بني أمية على رأس السلطة في الأندلس ، داءٌ ينبغي أن يُستأصَل من جذوره :

إنّ في مغربِ الخلافـة داءً ليس يُبريه غيرُ أمّ الحتوفِ
إنّ فيـه لشعبـةً من بني مَـر وان تُنبي عن كل أمرٍ مَخـوف

ويعود إلى المشرق ليتهم حكام العراق ، من بني العباس ، بأنهم فرّطوا في حق الأمة وضيعوا البلاد والعباد ، ولم يقوموا بما أمرهم به الله تعالى يقول[1] :

ما لي رأيتُ الدين قلّ نصيرُه بالمشرقين وذلّ حتى خُوّفـا
هم صيّروا خَدَماً تسوس أمورَهم يـا للزمان السُّوءِ كيف تصرّفا
أَسَفي على الأحرار قلّ حفاظهم إن كان يغني الحرُّ أن يتأسّفا
والشـام قـد أودى وأودى أهلُه إلّا قليـلاً والحجـاز على شفـا

أما النوع الثاني من هجائه فهو الهجاء غير السياسي ، كهجائه للوهراني كاتب الأمير جعفر :

---

(١) ديوانه : ٢٠٣ .

إنَّ أيامَ دهرنا سَخِفاتٌ فهي أعوانُ كلِّ وغدٍ سخيف

زَمَنٌ أنتَ يا أبا الجعر فيه ليس مِن تالِدٍ ولا من طريف[1]

إنَّ رأياً تُديره لمعنًى بضلالِ الإمضاء والتوقيف

إن لفظاً تلوكه لشبيهٌ بك في منظر الجفاءِ الجليفِ

لقد كال له الشتائم من كل صوب ، وجرّده من كل فضيلة ، فهو يعتب على الزمان الذي حوى هذا النوع من البشر ، حيث لا يملكون تالداً ولا طريفاً ، وليس لهم رأي أو حكمة أو لفظ أو فكر ، فإن تكلم الوهراني ، فكلامه جاف ، وإنْ أصدرَ رأياً فلا أهمية له ولا منفعة من ورائه . ويمضي الشاعر على هذا المنوال منكراً على هذا المهجو كل علم أو رأي أو نظر يؤهله أن يكون في مصاف الكبار والعظماء ، وهو في النهاية لا يدبر أمور المملكة بقدر ما يقوم بالافتراء على الناس .

خصائصه العامة :

قد استعرضنا في ما تقدم الأغراض الشعرية ، التي نظم فيها ابن هانيء ، وضربنا الأمثلة والشواهد المحللة من شعره لنستخلص من خلال كل ذلك السِّمات الفنية البارزة في شعره ، والملاحظ حتى الآن أن الشاعر قد سلك ، من حيث الأغراض ، مسلك غيره من الشعراء أي أنه نظم في كل الفنون المعروفة ولم يستحدث إطاراً فنياً جديداً ، ولو انه أكثر من المديح لأسباب مذهبية وسياسية . وعلى العموم ، إننا نقف على المميزات التالية :

---

(١) الأبيات في الديوان : ٢١٥ . أبو الجعر : أراد الجعفر ولكنه جعلها كذلك احتقاراً له . التالد والطريف : المال الموروث والمكتسب .

ـ الدعوة الشيعية : قد اعتقد اعتقادهم ، فروّج لمذهبهم ودعا إليه ، وجاهر ، وعادى لذلك كل مَن سواهم من حكام وغير حكام حتى بات لا همّ له إلا اجتثاث أعداء الشيعة من الأرض قال(١) :

تشيّع فيكم لساني ومَن   تشيّع في قوله لم يلُمْ

ويقول :

شيعي أملاكِ بكرٍ إنْ هم انتسبوا   ولستَ تلقى أديباً غير شيعي
مَن اصلح المغرب الأقصى بلا أدبٍ   غيرِ التشيّع والدين الحنيفي

وكما وجّه الانتقادات والأهاجي نحو الخصوم السياسيين ، فإنه لم ينس أن يذكر النصارى مستخفاً بهم فقال :

فلتعلمِ الأعلاج علماً ثاقباً   أنّ الصليب وقد عزرتَ ذليلُ
وليعبدوا غيرَ المسيح فليس في   دين الترهُّبِ بعدها تأميلُ
هل كان يُعرف للبطارق قبل ذا   باسٌ ورأيٌ في الجلاد أصيلُ

لا يستخف الشاعر بهم فحسب ، بل يدعوهم لنبذ الصليب ، وإلى الانصراف عن عبادة المسيح لأنه ليس إلهاً ، ثم يوجّه النقد إلى بطارقهم ، فهم ليسوا أهل رأيٍ أو حرب .

ـ المبالغة : وتقترن بمذهبه ، واعتقاده اعتقاد الشيعة ، لأنهم يرون من الصفات في إمامهم ، ما لا يرونه في غيره ، لذلك أحاطوه بهالة عظيمة ، التزم الشاعر التعبير عن هذا الفكر بكل دقائقه وتفاصيله ،

---

(١) ديوانه : ٣٣٢ .

إلى درجة الانحراف عن جادة الصواب ، قال[1] في مدح الناشب :

لــو ســرتُ أطلبُ : هــل أرى لــك مشبهــاً
لــطلبــتُ شـيئــاً لــيس فــي الإمــكــان
أنــت الـحـقـيـقـةُ أبـدتْ بـحـقـيـقـةٍ
وســواكَ عـيــن الإفــكِ والــبُـهــتــان

وقد قدّمنا ، عند الحديث عن المدح نماذج أخرى من الغلو ، هذا ولم تقتصر مبالغاته على الإطار المذهبي الشيعي ، لكنه بالغ في الوصف أيضاً فانظر إليه يصف رجلاً أكولاً ، وقد صوّره تصويراً دقيقاً ما يجعل القارىء يضحك قال :

يا ليت شِعري إذا أومى إلى فمه أحلقُه لهواتٌ أم ميــادين ؟!
كـأنهـا وخبيثُ الـزادِ يُضرمها جهنمُ قُذفت فيها الشيـاطين !

يا له من حلقٍ واسعٍ كالميدان ، ولكنه لا يرمي فيه إلا خبيث الزاد ، وكأن بداخله نار تتأجج ، وتقذف فيها شياطين . وإن منظره لمريع حقاً ، يخاف الناظر إليه أن يتحول عن طعامه فيلتهمه :

نصحتكم فخذوا من شدقهِ وَزَراً أولا فأنتم سَويقٌ فيه مطحـون

وإذا انتهى من طعامه ، فليس يرويه ماء الفرات :

فليس تُرويه أمـواه الفراتِ ولا يقوته فُلكُ نوحٍ وهو مشحـون

والمبالغة في وصف الحرب والجيش فيقول في جيش جوهر عند خروجه من القيروان[2] :

---

(١) ديوانه : ٣٧٥ .

(٢) ديوانه : ١٩٣ .

إذا حـــل في أرضٍ بناها مدائناً
وإن سار عن أرضٍ ثوت وهي بلقعُ
كأن خلاخيل المطايـا إذا غدتْ
تجاوبُ أصداءُ الفلا تترجعُ

ومن مبالغاته في المدح معنى التفرد للممدوح يقول[1] في مدح المعز :

يـا أفـضــل النــاس مـن عــربٍ ومن عـجمٍ
وآل أحـــمـــد إن شـــبـــوا وإن شـــمِـــطوا

وهذا المعنى قد سبقه إليه المتنبي في مدائحه لسيف الدولة وغيره وكذلك في تشبيه الممدوح بالبحر والآخرين بالنقط ، قد استوحى معناه من قول المتنبي :

قـواصـد كـافـور تـوارك غيـره ومن قصد البحر استقل السواقيا

فجاء ابن هانيء بما يشبه ذلك بقوله[2] :

إن الملوك إذا قيسوا إليك معاً فأنت من كثرةٍ بحرٌ وهم نقط

الحكمة :

يرسلها حيث تقتضي المناسبة ذلك ، ولم يتقيد بالافتتاحيات ، في مدائحه كما كان يفعل المتنبي :

الخيال :

يمتلك ابن هانيء قدرة فائقة في التصوير فينقل المشاهد بطريقة

---

(١) ديوانه : ١٨٦ .
(٢) ديوانه : ١٨٦ .

مثيرة يضفي عليها من اللمسات بحسب مقتضى الحال ، وإن جاءت متكلفة أحياناً ، إلاّ أنها ترتبط بطريقته في التصنيع ، والتي انتهج فيها منهجاً وسطاً ، فهو لا يحذو حذو شعراء العصر العباسي دائماً ، بل يتمثل صورهم وأساليبهم يضفي عليها طابعاً خاصاً .

وهو إذ يرى الجيش - جيش جوهر الصقلي - يصفه ويبالغ في تصوير عدده وعدته ، مستعيناً بصور فنية كثيرة وأهمها التشبيهات :

كأنّ ظلال الخافقات أمامَه غمائم نصر الله لا تتقشّعُ
كأن السيوف المصلتات إذا طَمَتْ على البرِّ بحرٌ زاخرُ الموج مُترع

وعلى هذا النحو تمتد عناصر مخيلته لتريه ظلال الرايات غماماً ، والسيوف بحراً زخّاراً . أما الرماة والمقاتلون المسلمون فهم أسود يملأهم الغضب يقول :

كأنَّ الكماةَ الصِّيد لمّا تغشمرتْ خَوالَيْه أُسْد الغيل لا تتكعكعُ

أما عنايته بالغريب من الألفاظ ، وبحثه عن القوافي الصعبة فلا يخفى على أحد ، والمراد من ذلك إثبات القدرة على تحقيق السبق والتميز ، وهو في هذا يسير على خُطى المتنبي الذي كان مشغوفاً بالغريب إلى حد استعمال الشاذ وعلى غير قياس . غير أنّ ابن هانيء لم يخرج عن القواعد النحوية والصرفية .

ومن أمثلة الغرابة اللفظية قوله :

ذا أهرت كشدوقِ الأسدِ قد رجفتْ
زأراً وهذا غموسٌ كالأخاديد(١)

---

(١) ديوانه : ٩٣ . أهرت : واسع الشِّدق . الغموس : الطعنة النافذة .

ومن ذلك الغريب ، ما تفوح منه رائحة البادية ، ويصطبغ بألوانها :

لو أصحروا في فضاءٍ من صدورهم   سدّوا عليك فُروجَ البيدِ بالبيد

وقوله[1] أيضاً :

كأنها في الذُّرى سُحقٌ مكممَّةٌ
من كل مخضودِ أعلى الطلعِ منضودِ[2]

وقوله[3] :

فكيف بها نجديةً حال دونها   صعاليك نجدٍ في متون الصّلادمِ

كلّ ذلك من الغريب جعل المعري يقول[4] : « ما اشبهه إلا برحى تطحن قروناً » ، لأجل القعقعة التي في الفاظه ، إلا أن ابن خلكان[5] يرفض مقالة المعري ويتهمه بعدم انصاف ابن هانيء ، والسبب الذي دفعه إلى قول ما قاله تعصبه للمتنبي ، « وبالجملة فما كان إلا من المحسنين في النظم » على حد رأي ابن خلكان .

أما المقري فقد أثنى على شاعريته عموماً ، ولم يُعب عليه تقصيه وملاحقته للغريب فقال في معرض الحديث عنه : « غاص في طلب الغريب حتى أخرج درّه المكنون ، وبهرج بافتنانه فيه كل الفنون ،

---

(١) ديوانه : ٩٢ .
(٢) السحق : جمع السحوق : النخلة الطويلة ، مكممة : مخرجة أكمامها .
(٣) ديوانه : ٣٠٨ ـ الصلدم : الصلب .
(٤) وفيات الأعيان : ٤/٤٢٤ .
(٥) وفيات الأعيان : ٤/٤٢٤ .

وله نظم تتمنى الثريا أن تتوّج به وتتقلد ، ويود البدر أن يكتب ما اخترع فيه وولّد »[1] . . . . ويتابع المقري قائلاً : « وله بدائع يتحير فيها ويُحار ، ويخال لرقتها أنها أسحار، فإنه اعتمد التهذيب والتحرير ، واتبع في أغراضه الفرزدق مع جرير ، وأما تشبيهاته فخرق فيها المعتاد ، وما شاء منها اقتاد » .

يرى كثير من النقاد أن تلك القعقعة ، لا طائل من تحتها ، وهي لا تؤدي إلى فائدة ، أولئك ابن رشيق ، الذي وافق المعري فيما ذهب إليه من أن التوغل في غريب الألفاظ لا يؤدي إلا إلى ما يشبه الدوران حول الذات ، فيتعقد المعنى أو يفسد .

قال ابن هانيء :

أصاخت فقالت وقع أجرد شيظم
وشامتْ ، فقالت : لمع أبيض مخذم[2]
وما ذُعِرت إلاّ بجرْسِ حُليها
ولا رمقَتْ إلا بُرى في مخدّمِ[3]

يعتبر ابن رشيق أن في ذلك إفساداً للمعنى ، وهو قد أدى خلاف المراد ، يقول[4] : « ما الذي يفيدنا أن تكون هذه المنسوب بها لبست حليها فتوهمته بعد الإصاخة والرمق وقع الفرس أو لمع

---

(١) نفح الطيب : ٤ / ٤٠ .

(٢) اصاخت : أرهفت السمع . الأجرد : الحصان الكريم ، الشيظم : الحصان القوي الطويل .

(٣) الجرس : الصوت . رمق الشيء : لحظة برى : جمع برة : الخلخال . المخدَّم : موضع الخلخال .

(٤) العمدة : ١ / ٨٠ .

سيف ، غير أنها مغزوة في دارها ، أو جاهلة بما حملته من زينتها ، ولم يخف عن مراده أنها كانت تترقبه ، فما هذا كله » ؟

ومهما كانت الأحوال ، فإن ما قيل حول قعقعته لا يغض من منزلته ، ولا يخدش شاعريته وتمكنه من اللغة وغريبها ، وصنعة الشعر كان يملك أزمتها ، فتنصاع له الألفاظ والمعاني طائعة ، وهو إذا اتخذ المتنبي مثالاً له ، لا يعني ذلك أبداً أنه قلّده تقليداً أعمى ، وسرق عنه صوره وألفاظه ومعانيه ، ليس الأمر كذلك ، إن ما أتى به ابن هانىء في شعره يدل على قدرته الفائقة للتصرف ، وعلى غنى معجمه اللغوي مما جعل البعض يطلق عليه اسم « متنبي المغرب » ، ولم تكن التسمية لأنه قلّد المتنبي ، بل لأنه كان ينافسه وينظم على طريقته ، من حيث القوة في الأسلوب والمهارة في استخدام الغريب . هذه الطريقة قد فُتن بها شعراء آخرون في الأندلس وغيرها ، وعلى رأسهم ابن درّاج القسطلي الذي تأثر بالمتنبي أي تأثر ، وأخذ عنه ، كما أخذ عن ابن هانىء . قال[1] ابن هانىء :

عيناكِ أم مغناكِ موعدنا وفي وادي الكرى نلقاك أم واديك

أخذه ابن درّاج فقال[2] :

إن كان واديك ممنوعاً فموعدنا وادي الكرى فلعلي فيه ألقاك

وهذا بدوره حمل لقب « متنبي الغرب » .

---

(١) ديوانه : ٢٥٢ .

(٢) الأدب العربي في الأندلس ـ د . إحسان عباس : ١/٢٦٢ .

خاتمة

اشتملت هذه الرسالة على فصلين كبيرين : الأول تضمّن وصفاً لجزيرة الأندلس جغرافياً وبشرياً وسياسياً، ما ألمحت فيه إلى خصائص تلك البيئة وانجازات الأندلسيين العلمية والحضارية . وفي الفصل الثاني عرّفت بابن هانىء الأندلسي من خلال المصادر التي ترجمت له ، ثم نظرت في أشعاره فوجدت أن أكثر ما سيطر عليها نزعته الشيعية ، تلك النزعة قد طبعت شعره بطابع الغلو والمبالغة إلى حد الخروج عن المقبول ، وعن الصواب ، وفي هذا المجال أفرط في مدحه لأئمة الشيعة وخلفاء شمالي إفريقية ونسب إليهم من الفضائل ما لا ينبغي له . وقد حاولت في ما تقدم أن أدرس هذه الظاهرة لأتبين الدوافع من ورائها ، وأرجو أن أكون قد وفقت إلى ما يرضي الله تعالى ، ثم يلبي حاجة القراء الكرام والباحثين الأعزاء .

أحمد حسن بَسَج

بيروت : ١٤ صفر ١٤١٤ هجرية

الموافق ٢/٨/١٩٩٣ رومية

مختارات

قال من قصيدة يمدح فيها جعفر بن علي :

جيشٌ تَقَدَّمَهُ اللُّيوثُ وفوقها ... كالغِيلِ من قصَبِ الوشيجِ الأسمرِ[1]
وكأنّما سَلَبَ القَشاعِمَ رِيشَها ... مما يَشُقُّ من العَجاجِ الأكدرِ[2]
وكأنّما اشتَمَلتْ قناهُ ببارقٍ ... مُتألِّقٍ أو عارِضٍ مُثعَنْجِرِ[3]
تمتدُّ ألسِنَةُ الصَّواعقِ فوقَهُ ... عن ظُلَّتَيْ مُزْنٍ عليه كَنَهْوَرِ[4]
ويقوده اللَّيْثُ الغَضَنْفَرُ مُعْلَماً ... من كلِّ شَثْنِ اللُّبْدَتَينِ غضنفرِ[5]
نَحَرَ القَبولَ مِنَ الدَّبورِ وسار في ... جَمْعِ الهِرَقْلِ وعزمةِ الاسكندرِ[6]
في فتيةٍ صَدَأُ الدروعِ عبيرُهُمْ ... وخَلوقُهم عَلَقُ النجيعِ الأحمرِ[7]
لا يأكُلُ السِّرحانُ شِلْوَ طعينِهمِ ... مما عليه من القَنا المتكسِّرِ[8]
أَنِسوا بهجرانِ الأنيسِ كأنَّهُمْ ... في عبقريِّ البِيدِ جِنَّةُ عَبْقَرِ

---

(١) الغيل : الشجر الكثير الملتف . الوشيج : شجر الرماح ، وتستعمل للرماح كذلك .

(٢) القشاعم ، الواحد قشعم : النسر .

(٣) المثعنجر : المنصب .

(٤) الظُّلة : ما أظلك من سحاب أو شجر أو غيره . الكَنَهور : المتراكم .

(٥) الشثن : الغليظ . اللبدة : الشعر المجتمع بين كتفي الأسد . الغضنفر : الأسد .

(٦) القَبول : الريح الشرقية . الدبور : الريح الغربية . نحر : قابل . ويريد في قوله : نحر القبول من الدبور ، أن الممدوح ينهض بالأمور الصعبة .

(٧) الصدأ : وسخ الحديد أو النحاس . العبير : الطيب . الخَلوق : ضرب من الطيب العلق : الدم . النجيع : الدم .

(٨) السرحان : الذئب . الشلو : العضو من الميت .

يَعْشَوْنَ بالبِيدِ القِفارِ وإنّما تَلِدُ السُّبْنَتى في اليَبابِ المُقفِر(١)
قد جاوروا أجَمَ الضَواري حولهم فإذا هُمُ زأروا بها لم تَزْأرِ
ومَشَوْا على قِطَعِ النفوسِ كأنّما تمشي سنابكُ خيلهم في مرْمَر
قوْمٌ يبيتُ على الحَشايا غيرُهُمْ ومبيتُهم فوق الجياد الضُمَّر
وتظَلُّ تسبَحُ في الدماء قِبابُهُمْ فكأنّهُنَّ سفائنٌ في أبحر
فخِياضُهم من كلِّ مهجةِ خالعٍ وخيامُهم من كلِّ لِبدَة قَسْوَرَ(٢)
من كلِّ أهرتَ كالحٍ ذي لِبْدةٍ او كلِّ أبيضَ واضحٍ ذي مغفَر(٣)
حيٍّ من الأعْرابِ إلّا أنّهُمْ يَردونَ ماءَ الأمنِ غير مكدَّر
راحوا الى أمِّ الرِّئالِ عشيَّةً وغدَوْا إلى ظَبْيِ الكثيبِ الأعفر(٤)
طَردوا الأوابِدَ في الفدافِدِ طَردَهم للأعْوَجيَّةِ في مجالِ العِثْيَر(٥)
رَكِبوا إليها يومَ لَهْوٍ قَنيصهمْ في زِيِّهِمْ يومَ الخميسِ المُصْحِر(٦)

درٌ على ذهب

وليلٍ بِتُّ أُسْقاها سُلافاً مُعَتَّقَةً كلَوْنِ الجُلَّنارِ

---

(١) يعشون بالبيد القفار : المراد به أنهم يمضون ليلهم في القفار كالوحوش . السبنتى : الجريء .
(٢) الخالع : الخارج عن الطاعة . القسور : الأسد .
(٣) الأهرت : الواسع الشدقين . المغفر : زرد ينسج من الدروع على قدر الرأس .
(٤) الرئال ، الواحد رأل : ولد النعام . الكثيب : التلة من الرمل . الأعفر : ما يعلو بياضه حمرة .
(٥) الأوابد : الوحوش ، الواحدة آبدة . الفدافد : الفلوات ، الواحد فدفد . الأعوجية : الخيول المنسوبة إلى أعوج ، العثير : الغبار .
(٦) القنيص : الصيد . المصحر : البارز إلى الصحراء .

كأنَّ حبابَها خرزاتُ دُرٍّ علَتْ ذَهَباً بأقداحِ النُّضارِ
بكفِّ مُقرْطَقٍ يُزهى بردْفٍ يضيقُ بحَملِهِ وُسعُ الإزار[1]
أقمتُ لشربها عبثاً وعندي بناتُ اللهوِ تعبثُ بالعُقار[2]
ونجمُ الليل يركضُ في الدياجي كأنَّ الصُّبحَ يطلبُهُ بثار[3]

ذو نجاد

وذي نِجادٍ هِرَقْليٍّ يُشرِّفُهُ كأنَّهُ أجلٌ يَسطُو به قَدَرُ
كأنَّما مَسحَ القَينُ الجريءُ به كفّاً وقد نَهَشَتْهُ حيَّةٌ ذكَرُ

مثل النهد

وبنتِ أيْكٍ كالشبابِ النَّضْرِ كأنَّها بينَ الغُصونِ الخُضْرِ[4]
جِنانُ بازٍ أو جَنانُ صَقْرِ قد خلَقَتْه لَقوَةٌ بوَكْرِ
كأنَّما مجَّتْ دماً من نَحرِ أو نشأتْ في تُرْبةٍ من جمر[5]
أو رُوِيَتْ بجَدْوَلٍ من خمْرِ لو كفَّ عنها الدهرُ صَرْفَ الدهر
جاءتْ بمثلِ النَّهْدِ فوقَ الصَّدرِ تفترُّ عن مثلِ اللِّثاتِ الحُمر
في مثلِ طعم الوصلِ بعدَ الهجرِ

وقال في جعفر :

---

(١) المقرطق : اللابس القرطق ، وهو قباء ذو طاق واحد . وأراد به الغلام الساقي . يزهى : يعجب . الردف : العجز .

(٢) العُقار : الخمرة .

(٣) الدياجي : الظلمات .

(٤) بنت الأيك : زهرة الجلنار ، أي زهرة الرمان .

(٥) مجت : بصقت .

المُدنَفَانِ منَ البرِيّةِ كلُّهَا جسمي وطَرْفٌ بابليٌّ أحورُ(1)
والمُشرِقاتُ النّيّراتُ ثلاثةٌ : الشمسُ والقمرُ المنير وجعفرُ

وقال في صفة السيف :

اكوكبٌ في يمين يحيَى أم صارمٌ باتكُ الغِرارِ(2)
حاملُهُ للمعزِّ عَبْدٌ والسيفُ عبدٌ لذي الفَقارِ

وقال في ابن فلاح :

كانت مُساءلَةُ الرُّكبانِ تُخبِرُنا عن جعفرِ بن فلاحٍ أطيَبَ الخبرِ
ثمّ التقينا فلا واللهِ ما سمعتْ أذني بأحسن مما قد رأى بصَري

قال يمدح جعفر بن علي :

اليلتَنا إذ أرْسَلَتْ وارداً وَحْفَا
وبتنا نرى الجوْزاءَ في أُذنِها شَنفا(3)
وباتَ لنَا ساقٍ يقومُ على الدّجى
بشمعةِ نجمٍ لا تُقَطُّ ولا تُطفى(4)

---

(1) المدنفان ، مثنى مدنف : من ثقل عليه المرض . البابلي : الساحر ، نسبة إلى بابل .
(2) الباتك : القاطع . الغرار : حد السيف .
(3) الوارد : الشعر المسترسل . الوحف : الكثيف الأسود . الشنف : ما يعلق في أعلى الأذن .
(4) القط : القطع .

أغَنُّ غضيضٌ خفّفَ اللّينُ قَدَّهُ وثقّلَتِ الصّهباءُ أجفانَهُ الوُطْفا[1]
ولم يُبْقِ إرعاشُ المُدامِ لَهُ يَداً ولم يُبْقِ إعناتُ التثنّي له عِطفا[2]
نَزيفٌ قضاهُ السُّكْرُ إلاّ ارتجاجَهُ إذا كُلّ عنه الخصْرُ حمّلَه الرِّدفا[3]
يقولون حِقْفٌ فوقه خَيْزُرانَةٌ أما يعرفونَ الخَيْزُرانَةَ والحِقفا[4]
جعلنا حشايانا ثيابَ مُدامِنا وقَدّتْ لنا الظلماءُ من جِلدِها لُحفا[5]
فمن كَبِدٍ تُدْني إلى كَبِدٍ هوىً ومن شَفَةٍ توحي إلى شَفَةٍ رَشْفا
بعيشك نَبِّهْ كأسَه وجُفونَهُ فقد نَبَّهَ الإبريقُ من بعدِ ما أغْفى
وقد وَلّتِ الظّلماءُ تقفو نجومَها وقد قام جيشُ الفجرِ للّيل واصْطفّا
وولّتْ نجومٌ للثُّرَيّا كأنّها خواتيمُ تَبْدو في بَنانِ يدٍ تَخْفى
ومَرّ على آثارِها دَبَرانُها كصاحِبِ رِدءٍ كُمّنتْ خيلُه خلْفا[6]
وأقبَلَتِ الشِّعرى العَبورُ مُكبّةً بمِرْزَمِها اليَعبوبِ تَجنُبُهُ طِرْفا[7]

---

(١) الأغن : الذي في صوته غنة ، صوت من اللهاة والأنف . الغضيض : الفاتر الطرف . الوطف ، الواحد أوطف ، من الوطف : كثرة شعر الحاجبين والعينين .
(٢) الإعنات ، من أعنته : أتعبه .
(٣) النزيف : أراد به الذاهب العقل من شرب الخمر ، ونزف ماء البئر : استخرجه كله .
(٤) الحقف : ما أعوج من الرمل واستطال .
(٥) الحشايا ، الواحدة حشية : الفراش المحشو .
(٦) الدبران : نجم يتبع الثريا . الردء : العون والناصر .
(٧) المرزم : نجم من الشعرى اليمانية . اليعبوب : الفرس السريع الطويل . تجنبه : تقوده إلى جانبها . الطرف : المهر .

وقد بادَرَتْها أُخْتُها مِنْ ورائِها لِتَخْرُقَ من ثِنْيِ مَجَرَّتِها سِجفا(١)
تخافُ زَئيرَ اللَّيثِ يَقدُمُ نَثْرَةً وبَرْبَرَ في الظلماء يَنْسِفُها نَسْفا(٢)
كأنَّ السِّماكَيْنِ اللَّذينِ تَظاهَرا على لِبْدَتَيْهِ ضامِنانِ له حَتْفا(٣)
فذا رامحٌ يهوي إليه سِنانُهُ وذا أعزَلٌ قد عَضَّ أنمُلَهُ لَهْفا
كأنَّ رقيبَ النجمِ أجدَلُ مَرْقَبٍ يُقَلِّبُ تحتَ الليل في ريشه طَرفا(٤)
كأنَّ بني نَعشٍ ونعشاً مَطافِلٌ بوَجرةَ قد أضْلَلْنَ في مَهمَهٍ خِشْفا(٥)
كأنَّ سُهَيْلاً في مطالِعِ أُفقِهِ مُفارِقُ إلْفٍ لم يَجِدْ بعدهُ إلفا(٦)
كأنَّ سُهاها عاشِقٌ بين عُوَّدٍ فآوِنَةً يَبدو وآونَةً يَخْفى(٧)
كأنَّ مُعلَّى قُطبِها فارسٌ لَهُ لِواءانِ مركوزانِ قد كرِه الزحفا(٨)
كأنَّ قُدامَى النَّسرِ والنَّسرُ واقعٌ قُصِصْنَ فلم تَسْمُ الخَوافي به ضعفا(٩)

---

(١) أختها : الشعرى الشامية ويقال لها : الغميصاء ، ويقال لليمانية : العبور .
الثني : الطي ، السجف : الستر .
(٢) النثرة : هي فترة الأسد ، كوكبان بينهما قدر شبر وفيهما لطخ بياض ، الأسد . بربر : غضب وصاح .
(٣) السماكان : كوكبان .
(٤) رقيب النجم : هو النجم الذي يغيب بطلوع النجم الذي يراقبه . الأجدل : الصقر .
(٥) بنات نعش : سبعة كواكب . المطافل : ذوات الأطفال من الإنس والوحش ، وأراد الظباء ، الواحدة مطفل . وجرة : موضع بين مكة والبصرة . الخشف : الظبي .
(٦) سهيل : كوكب يمان .
(٧) السهى : كوكب خفي .
(٨) معلى القطب : نجم في القطب .
(٩) القدامى : الريشات الكبار في مقدم الجناح . النسر : كوكب ، وهما =

كأنّ أخاه حينَ دَوَّمَ طائِراً أتى دون نصفِ البدر فاختطفَ النصفا
كأنّ الهزيعَ الأبنوسيَّ لونُهُ سَرَى بالنسيجِ الخُسرُوانيِّ مُلتفّا[1]
كأنّ ظلامَ الليلِ إذ مالَ مَيْلَةً صريعُ مُدامٍ باتَ يشرَبُها صِرفا
كأنّ عمودَ الفجرِ خاقانُ عسكرٍ من التركِ نادى بالنجاشيِّ فاستخفى[2]
كأنّ لِواءَ الشمسِ غُرَّةُ جعفرٍ رأى القِرْنَ فازدادتْ طلاقته ضِعفا[3]
وقد جاشَتِ الدأماءُ بِيضاً صَوارِماً ومارِنَةً سُمْراً وفَضْفاضَةً زَغْفا[4]

قال يمدح يحيى بن علي الأندلسي :

فَتَكاتُ طَرْفِكِ أم سيوفُ أبيكِ وكؤوسُ خمرٍ أم مَراشِفُ فيكِ
أجِلادُ مُرْهَفَةٍ وَفَتْكُ مَحاجِرٍ ما أنتِ راحِمَةٌ ولا أهلوكِ
يا بنتَ ذا السَّيفِ الطويلِ نجادُه أكذا يجوزُ الحكمُ في ناديكِ
قد كان يَدعوني خيالُكِ طارقاً حتى دعاني بالقَنا داعيكِ

= نسران : النسر الطائر والنسر الواقع . الخوافي : الريشات الصغار في مؤخر الجناح .

(١) الهزيع : قطع من الليل . الأبنوسي ، نسبة إلى الأبنوس : شجر عوده أسود ، صلب . الخسرواني : حرير رقيق أبيض منسوب إلى خسرو أحد ملوك الفرس .

(٢) شبه عمود الفجر بملك الترك وهو الخاقان لبياضه . وشبه الليل بالنجاشي ، ملك الحبشة ، لسواده .

(٣) القرن : الخصم ، العدو .

(٤) الدأماء : البحر . المارن : الصلب اللدن من الرماح . الزغف : الواسعة من الدروع .

عَيناكِ أم مغناكِ مَوْعِدُنا وفي وادي الكرى نلقاكِ أو واديكِ
منعوكِ من سِنة الكرى وسرَوْا فلوْ عَثَروا بطيْفٍ طارقٍ ظنّوك
وَدَعَوْكِ نَشوى ما سقوكِ مُدامةً لمّا تمايل عِطفُكِ اتّهموكِ
حسبوا التكحّلَ في جفونك حِلْيةً تاللّهِ ما بأكفّهمْ كحلوك
وجَلَوْكِ لي إذْ نحن غُصنا بانةٍ حتى إذا احتَفَلَ الهوَى حَجَبوك
ولَوَى مُقبّلَكِ اللّثامُ وما دَرَوا أن قد لَثَمْتُ به وقُبّلَ فُوك
فضَعي اللّثامَ فقبلَ خدّك ضُرّجَتْ راياتُ يحيى بالدّم المسفوك
يا خيْلَهُ لا تسخطي عَزَماتِهِ ولئن سَخِطْتِ فقلّما يُرضيك
إيهاً فمن بين الأسنّةِ والظُّبى إنّ الملائكَةَ الكِرامَ تليك
قد قلّدَتْكِ يدُ الأميرِ أعِنّةً لِتَخايَلي وشكائماً لِتلوكي(١)
وحمَاكِ أغمار المَواردِ إنّهُ بالسّيفِ من مُهَجِ العِدى ساقيك(٢)
عُوجي بجِنْحِ الليلِ فالملِكُ الذي يهدي النجومَ إلى العُلى هاديك
رَبُّ المَذاكي والعَوالي شُرّعاً لكنّهُ وَتْرٌ بغيرِ شريك(٣)
هو ذلك اللّيْثُ الغَضَنْفَرُ فانجُ من بَطشٍ على مُهَجِ الليوثِ وَشيكِ
تَلقاهُ فوقَ رِحالِهِ وأقبُّ لا تلقاه فوقَ حشيّةٍ وأريك
تأبى له إلاّ المكارمَ يَشجُبُ تأبَى سَنامَ المجدِ غيرَ تَموك(٤)

---

(١) الشكائم ، الواحدة شكيمة : الحديدة المعترضة في فم الفرس .
(٢) الأغمار ، الواحد غمر : الماء الكثير . الموارد : أي موارد المياه ، وقد يكون أراد بأغمار الموارد : أغمار الحروب .
(٣) الوتر : الفرد . المذاكي ، الواحد المذكي : وهو من الخيل ما تمت سنه وكملت قوته .
(٤) التموك : المرتفع .

بيْتٌ سَما بِكَ والكواكب جنَّح ... من تحتِ أبنِيَةٍ له وسُمُوك
كذَبَتْ نفوسَ الحاسدينَ ظنونُها ... من آفكٍ منهم ومن مأفوك
إنّ السّماءَ لَدُونَ ما ترْقَى له ... والنجمُ أقرَبُ نَهجِكَ المسلوك
عاودتَ من دارِ الخلافةِ مطلعاً ... فطلعتَ شمساً غيرَ ذاتِ دُلوك[1]

وقال في آخر قصيدة مدح بها المعز وبعثها إليه وكان بالمغرب والمعز بالقاهرة :

وكمْ كُرْبَةٍ كَشَفْتَها بِثَلاثَةٍ
من الصُحبِ : خيْفانٍ وماضٍ ولهذم[2]
وما الفَتكُ فتك الضاربِ الهامَ في الوغى
ولكنّهُ فَتْكُ العَميدِ المُتَيّم
وبينَ حَصَى الياقوتِ لَبّاتُ خائفٍ
خَبيبٍ إليه لو تَوَسّدَ مِعْصَمي[3]
جهلتُ الهوى حتى اختبرْتُ عذابَهُ
كما اختبرَ الرِّعْديدُ بأسَ المُصَمِّم[4]
وقُدْتُ إلى نَفْسي مَنِيّةَ نَفسِها
كما أُحرِقَتْ في نارِها كَفُّ مُضرِم
وممّا شَجَاني في العَلاقَةِ أنّني
شَرِبْتُ دُعافاً قاتِلاً لَذَّ في فمي

---

(١) الدلوك : الميلان إلى الغروب .
(٢) الخيفان : الناقة ، أو الفرس . الماضي : السيف . اللهذم : الرمح .
(٣) اللبات ، الواحدة لبة : المنحر ، موضع القلادة من الصدر .
(٤) الرعديد : الجبان . المصمم : السيف الماضي .

رَمَيْتُ بسَهْم لم يُصِبْ وأصابَني
فألْقَيْتُ قَوْسي عن يَدَيَّ وأسهُمي

ألا إنَّ جِسماً كانَ يَحْمِلُ هِمَّتي
تَطاوَحَ في شِدْقٍ من الدهرِ أضجَم(١)

ومن عَجَبٍ أني هَرِمْتُ ولم أشِبْ
ومَن يَلْبَسِ الهِجرانَ والبَينَ يَهرَم

لعَلَّ فتىً يقضي لُبانَة هالِكٍ
إذا كان لا يقضي لُبانَةَ مُغْرَم

وكم دونَ أرْوَى من كمِيٍّ مُلأمٍ
وشَعْبٍ شَتِيتٍ بعدها لم يُلأم(٢)

ألا ليْتَ شِعْري هل يروعُ خيامها
عِثارُ المَذاكي بالقنا المُتَحطِّم

فلو أنني أستطيعُ أثقَلْتُ خِدرَها
بما فوق راياتِ المُعِزِّ من الدم

من اللاَّءِ لا يَصْدُرْنَ إلاَّ رَوِيَّةً
كأنَّ عليها صِبْغَ خَمْرٍ وعَنْدَم(٣)

كأنَّ قَنَاهَا المُلْدَ وهي خَوافِقٌ
قُدُودُ المها في كلِّ رَبْطٍ مُسَهَّم(٤)

---

(١) تطاوح : ترامى الأضجم : الأعوج .
(٢) أروى : اسم امرأة . الملأم : المدرع . لم يلأم : لم يجمع .
(٣) روية : مرتوية بالدم .
(٤) المسهم : المخطط .

لها العَذَباتُ الحُمْرُ تَهْفُو كأنّهَا
خَواشي بروقٍ أو ذوائبُ أنجم[1]

إذا زَعْزَعَتْهُنّ الرّياحُ تَزَعْزَعَتْ
مَواكِبُ مُرّانِ الوشيجِ المُقَوَّم

يُقَدِّمُهَا للطّعْنِ كلّ شَمَرْدَلٍ
على كُلِّ خَوّارِ العِنانِ مطَهَّم[2]

كتائب تُزْجي كُلُّ بُهْمَةِ مَعْرَكٍ
أبيٍّ الدنـايا والفِرارِ غَشَمْشَم[3]

فما يشهَدُونَ الحربَ غيرَ تَغَطْرُسٍ
ولا يَضربونَ الهامَ غير تَجَهْضُم[4]

غَدَوْا ناكسي أبصارِهم عن خَليفةٍ
عليمٍ بسرِّ اللّهِ غيرِ مُعَلَّم

وروحِ هُدىً في جسم نورٍ يُمِدُّهُ
شُعاعٌ من الأعلى الذي لم يُجَسَّم

ومُتّصِلٍ بين الإلهِ وبينه
مُمَر من الأسْبابِ لم يَتَصَرَّم[5]

(١) العذبات : خرق الألوية ، الواحدة عذبة . تهفو : تخفق . ذوائب الأنجم : أراد بها أشعتها .

(٢) الشمردل : الفتى الحسن الخلق . خوار العنان : كثير الجري . المطهم : التام الحسن .

(٣) الغشمشم : العنيد .

(٤) التغطرس والتجهضم : التكبر .

(٥) الممر : المحكم الفتل . الأسباب : الحبال ، الواحد سبب .

إذا أنْتَ لم تَعْلَمْ حقيقَةَ فَضْلِهِ
فسائل به الوَحْيَ المُنَزّلَ تَعْلَم

على كلّ خَطٌ من أسِرّةِ وجهِهِ
دليلٌ لعينِ النّاظِرِ المُتَوَسِّم

فأقسِمُ لو لم يأخُذِ النّاسُ وَصفَهُ
عنِ اللّهِ لم يَعْقِلْ ولم يَتَوَهّم

مُقَلّدُ مَضَاءٍ من الحقّ صارمٍ
ووارثُ مسطورٍ من الآيِ مُحكَم

ومِدْرَهُ غَيْبٍ لا مُعَنّى تَجَارِبٍ
ولابِسُ حِلْمٍ لا مُعارُ تَحَلُّم[1]

غَنيٌّ بما في الطبعِ عن مُستفادِهِ
لَهُ كَرَمُ الأخْلاقِ دونَ التكرُّم

ودانٍ ولولا الفضْلُ رُدّ جَلالُهُ
الى غَيرِ مَرْئيٍّ وغيرِ مُكلَّم

إذا كان منْ أيّامِهِ لكَ شافِعٌ
إلى أملٍ فاخْصِمْ به الدهْرَ واقصِم

إذا أنْتَ لم تَعْدَمْ رِضاهُ الذي بهِ
يفوزُ بنو الدنيا فلستَ بمُعدِم

إذا لم تُكَرّمْكَ الطِّباعُ بحُبّهِ
فلستَ على ذي نُهْيَةٍ بمُكَرَّم[2]

---

(١) مدره غيب : عالم غيب .

(٢) ذو النهية : صاحب العقل .

ألا إنّما الأقدارُ طَوْعُ بَنانِهِ
فحارِبْهُ تُخْرَبْ او فسالِمْهُ تَسْلم

إمامُ هُدىً ما التفُّ ثوبُ نُبُوّةٍ
على ابن نبيٍّ منه باللّه أعْلم

ولا بَسَطَتْ ايدي العُفاةِ بنَانَها
الى أرْيَحيٍّ منه أندى وأكرَم

ولا التَمَعَ التّاجُ المفصَّلُ نَظْمُهُ
على مَلِكٍ منه أجَلَّ وأعْظَم

ففِيهِ لنفسٍ ما استدَلّتْ دلالةً
وعِلْمٌ لأخرى لم تُدَبِّرْ فتَعْلَم

إذا جَمَحَ الأعداءُ رَدّ جِماحَهُمْ
الى جَذَعٍ يُزجي الحوادثَ أزلم(1)

فسارَ بهم سيْرَ الذّلول براكِبٍ
وشَلَّهُمْ شلَّ الطّليحِ المُسَدَّم(2)

---

(1) الجذع : الشاب الفتي . الأزلم : الكريم .
(2) شلّهم : طردهم . الطليح : البعير . المسدم : البعير المهمل .

كان بحضرة الشيخ أبي عبد الله الحسين بن مهذب الكاتب يوماً ببيت المال للمذاكرة ، فلما تواترت الأشغال عليه أومى إلى الانصراف وقال : نخشى أن ينقطع أبده الله عن شغله ؛ فكتب إليه :

لا تنكرن عليّ أن ينطاع ما قسمت، من ذهني، على أقسام[1]
فهو الموفي كل جنس حظه منه، على عدل من الأحكام
والوفر منه، في النصيب، لمن شدا حِكَم البدائع من ذوي الأفهام[2]

فأجابه ابن هانىء بقوله :

يا ذا البَديهةِ في المقالِ أما كَفَتْ بَدَهاتُ هذا النَّقضِ والإبرام[3]
حُكْمٌ يُجَلّي غيبَ كلِّ مُلِمَّةٍ كالشمسِ تَكشِفُ جِنحَ كل ظَلام
ولذا تَراكَ عيونُنا وقلوبنا مثلَ الشِّهابِ على سَواءِ الهام
ما أكثرَ الأسْماءَ حِينَ أعُدُّها من ماجِدٍ وسَمَيْدَعٍ وهُمام
فإذا رجعتَ إلى الحَقيقِ فإنّما إيّاكَ تَعْني السْنُ الأقْوام
فاترُكْ لأهلِ الشعرِ معنىً واحداً ممّا تُثيرُ هَواجِسُ الأوهام
فلأنْتَ والصِّيدُ الذين نَمَيْتَهم من كلِّ رَحبِ الباعِ أبلَجَ سام
أهلُ الأصالةِ والنَّباهةِ والفَصا حةِ والنُّهى والفَهْمِ والإفْهام
تمشي البلاغةُ خلفَكم وأمامَكم ويَطيبُ ما تطاون بالأقدام
وتكادُ تُعشِبُ أرضُكم بكلامِكم لو أنّ أرضاً أعشَبَتْ بكلام
من أينَ أُنكِرُ فضلَكم ولو انّني كأبي عُبادَةَ أو أبي تمّام[4]

---

(١) ينطاع : ينقاد .
(٢) شدا : نحا .
(٣) بدهات : مفاجآت . النقض والإبرام : نقض أحكام الدولة .
(٤) أبو عبادة : البحتري الشاعر .

يمدح الخليفة المعز ، وقيل إن هذه القصيدة أول ما أنشده بالقيروان ، وإنه أمر له بدست قيمته ستة آلاف دينار ، فقال له : يا أمير المؤمنين! ما لي موضع يسع الدست إذا بسط ، فأمر له ببناء قصر ، فغرم عليه ستة آلاف دينار وحمل إليه آلة تشاكل القصر والدست قيمتها ثلاثة آلاف دينار :

هل من أعِقَةِ عالِجٍ يَبْرِينُ ... أمْ منهما بَقَرُ الحُدوجِ العِينُ[١]
ولِمَنْ لَيالٍ ما ذَمَمْنا عَهدها ... مُذ كُنَّ إلاّ أنهُنَّ شُجونُ[٢]
المُشرِقاتُ كأنهُنَّ كَواكِبٌ ... والنّاعِماتُ كأنّهُنَّ غُصُونُ
بيض وما ضَحِكَ الصّباحُ وإنّها ... بالمِسكِ من طرر الحسان لجون[٣]
أدمى لها المَرجانُ صَفحةَ خدّهِ ... وبكى عليها اللؤلؤ المَكنون
أعدى الحَمامَ تأوُّهي من بعدها ... فكأنّهُ فيما سَجَعْنَ رَنين
بانوا سِراعاً للهَوادجِ زَفْرَةٌ ... ممّا رَأيْنَ وللمَطيّ حَنين
فكأنّما صَبغوا الضُّحى بقِبابِهِمْ ... او عصْفَرَتْ فيها الخدودَ جُفون[٤]
ماذا على حُلَلِ الشّقيقِ لو انّها ... عن لابِسِيها في الخدود تَبين[٥]

---

(١) الأعقة ، الواحد عقيق : الوادي ، عالج : موضع بالبادية . يبرين : موضع في البحرين . بقر العين : أراد بها النساء المشبهات بالبقر في جمال عيونهن . الحدوج ، الواحد حدج : مراكب النساء .

(٢) الشجون : الهموم .

(٣) الجون : الشديدة السواد .

(٤) أراد أن الضحى أحمر من حمرة قبابهم .

(٥) حلل الشقيق : الثياب الحمر .

لأعطشنّ الرَّوْضَ بعدهُمْ ولا يُرْوِيهِ لي دَمْعٌ عليه هَتُونُ
أأعيرُ لَحظَ العَيْنِ بهجةَ منْظَرٍ وأخُونُهُم أني إذاً لَخَؤون
لا الجَوُّ جَوٌّ مُشرِقٌ ولو اكتسَى زهراً ولا الماءُ المَعينُ مَعين[1]
لا يَبْعَدَنَّ إذِ العَبيرُ له ثَرى والبانُ أيْكٌ والشُّموسُ قَطين
أيامَ فيهِ العَبقرِيُّ مُفَوَّفٌ والسَّابِرِيُّ مُضاعَفٌ مَوضون[2]
والزَّاعِبيَّةُ شُرَّعٌ والمَشْرَفـ ـيَّةُ لُمَّعٌ والمُقرَباتُ صُفون
والعَهْدُ من لَمْياءَ إذ لا قومُهَا خُزْرٌ ولا الحَرْبُ الزَّبونُ زَبون[3]
عَهْدي بذاكَ الجَوِّ وهو أسنّةٌ وكِناسِ ذاكَ الخِشْفِ وهو عَرين
هل يُدْنِيَنّي منه أجْرَدُ سابِحٌ مَرِحٌ وجائلَةُ النُّسوعِ أمُون[4]
ومُهَنَّدٌ فيهِ الفِرِنْدُ كأنَّهُ ذِمْرٌ لَهُ خَلفَ الغِرارِ كَمين[5]
عَضْبُ المضاربِ مُقفِرٌ من أعيُنٍ لكنَّهُ من أنْفُسٍ مَسْكُون[6]
قد كان رَشْحُ حَديدِهِ أجْلى وما صاغَتْ مضارِبَهُ الرِّقاقَ قُيون[7]
وكأنّما يَلْقَى الضريبَةَ دونَهُ بأسُ المُعِزِّ أوِ اسمُهُ المَخزون

---

(١) الماء المعين : الظاهر الجاري .
(٢) العبقري : بساط فيه أصباغ ونقوش . السابري : نوع من الثياب . الموضون : المنسوج بالجواهر .
(٣) الحرب الزبون : التي تزين الناس أي تصدمهم وتدفعهم .
(٤) جائلة النسوع : ناقة ضامرة البطن . والنسوع ، جمع النسع : حبل من جلد تشد به الرحال . الأمون : الآمنة من العثار .
(٥) الذمر : البطل الشجاع . خلف الغرار : أي خلف حد سيفه .
(٦) أعين ، الواحد عين : ما تزين به السيوف من الذهب .
(٧) الرشح : ما يرشح منه .

هذا مَعَدٌّ والخلائقُ كلُّها ... هذا المُعِزُّ متوَّجاً والدِّين
هذا ضميرُ النَّشأةِ الأولى الّتي ... بَدَأ الإلهُ وغيبُها المكنون[1]
من أجل هذا قُدِّرَ المقدورُ في ... أمِّ الكِتابِ وكُوِّنَ التكوين
وبِذا تلقّى آدمٌ من رَبِّهِ ... عَفْواً وفاءَ ليُونُسَ اليقطين[2]
يا أرضُ كيفَ حملتِ ثِنْيَ نجادِهِ ... والنصرُ أعظَمُ منكِ والتَّمكين
حاشا لما حُمِّلتِ تَحمِلُ مِثلَهُ ... أرضٌ ولكِنَّ السماءَ تُعين
لو يَلتَقي الطُّوفانُهُ قبلَ وُجُودِه ... لم يُنجِ نُوحاً فُلْكُهُ المشْحون
لو أنَّ هذا الدهرَ يبطُشُ بَطشَهُ ... لم يَعقبِ الحركاتِ منهُ سُكُون
الرَّوْضُ ما قد قِيلَ في أيّامِهِ ... لا أنَّهُ وردٌ ولا نِسْرين
والمسكُ ما لَثَمَ الثرى من ذكرِهِ ... لا أنّ كل قرارةٍ دارين[3]
مَلِكٌ كما حُدِّثتَ عنه رأفةً ... فالخمرُ ماءٌ والشراسَةُ لِين
شِيَمٌ لَو أنّ اليَمّ أُعطِيَ رِفقَها ... لم يَلْتَقِمْ ذا النُّونِ فيهِ النُّون[4]
تاللّهِ لا ظُلَلُ الغَمامِ مَعاقِلٌ ... تأبى عليه ولا النجومُ حُصونُ
ووراءَ حقّ ابنِ الرسولِ ضَراغِمٌ ... أُسْدٌ وشَهباءُ السّلاحِ منون
الطّالبانِ : المشْرَفِيَّةُ والقَنا ، ... والمُدرِكانِ : النّصْرُ والتّمكين
وصواهلٌ لا الهَضْبُ يومَ مَغارِها ... هَضْبٌ ولا البِيدُ الحُزون حُزون
حيثُ الحَمامُ وما لهُنَّ قَوادِمٌ ... وعلى الرُّبود وما لَهُنَّ وُكون[5]

---

(١) أراد بالنشأة الأولى : الدنيا .

(٢) اليقطين : نبات . وأشار إلى قصة النبي يونس عليه السلام .

(٣) دارين : بلدة في البحرين .

(٤) ذو النون : يونس ، النون : الحوت .

(٥) الربود ، الواحد ربد الحرف الناتىء من الجبل .

ولهنّ من ورَقِ اللجينِ تَوَجُّسٌ ... ولهنّ من مُقَلِ الظباءِ شُفُونُ[1]
فكأنّها تحتَ النُضارِ كواكِبٌ ... وكأنّها تحْتَ الحَديدِ دُجونُ[2]
عُرِفَتْ بساعَةِ سَبْقِها لا أنّها ... عَلِقَتْ بها يومَ الرِّهانِ عُيونُ
وأجَلُّ عِلمِ البَرْقِ فيها أنّها ... مَرّتْ بجانِحَتَيْهِ وهي ظُنونُ
في الغيْثِ شِبهٌ من نَداكَ كأنّما ... مَسَحَتْ على الأنواءِ منك يَمينُ
أمّا الغِنى فهو الذي أولَيْتَنا ... فكأنّ جودَكَ بالخُلودِ رَهينُ
تَطَأُ الجيادُ بنا البُدورَ كأنّها ... تحتَ السّنابِكِ مَرْمَرٌ مَسنونُ[3]
فالفَيْءُ لا مُتَنقِّلٌ والحوضُ لا ... مُتَكَدِّرٌ والمَنُّ لا مَمنونُ[4]
انْظُرْ إلى الدنْيا بإشفاقٍ فَقَدْ ... أرخَصْتَ هذا العِلْقَ وهو ثَمينُ
لو يستطيعُ البَحْرُ لاستَعدَى على ... جَدْوَى يَدَيْك وإنّهُ لَقَمينُ[5]
أمْدِده أو فاصْفَحْ له عَنْ نَيْلِهِ ... فلقد تَخَوّفَ أن يُقالَ ضَنينُ
وَأذَنْ له يُغْرِقْ أُمَيّةَ مُعْلِناً ... ما كلُّ مأذونٍ له مأذونُ
واعْذِرْ أُمَيّةَ أن تَغَصّ بريقِها ... فالمُهْلُ ما سُقِيَتْهُ والغِسْلينُ[6]
ألقَتْ بأيدي الذُلّ مُلقى عَمْرِها ... بالثّوْبِ إذ فَغَرَتْ له صِفّينُ[7]
قد قادَ أمْرَهُمُ وقَلّدَ ثَغْرَهُمْ ... منهم مَهينٌ لا يكادُ يُبينُ

---

(١) توجس : خوف . الشفون : النظر بمؤخر العين تعجباً .
(٢) الدجون ، الواحد دجن : ظل الغيم في اليوم الماطر .
(٣) مسنون : مصقول .
(٤) المن : النعمة .
(٥) القمين : الجدير .
(٦) المهل : القطران الرقيق ، والقيح ، والصديد ، وما ذاب من نحاس أو حديد . الغسلين : ما يسيل من جلود أهل النار ولحومهم ودمائهم .
(٧) عمرها : أراد به عمرو بن العاص ، وقوله : ملقى ، إشارة إلى طعن الإمام علي له طعنة جاءت في درعه فألقته على الأرض .

لتُحكِّمَنكَ أو تزايلُ مِعْصَماً كَفٌّ ويشخُبُ بالدماء وَتين[(١)]
أوَلم تَشُنّ بها وقائعكَ الّتي جفَلَتْ وراءَ الهندِ منها الصِّين
هل غيرُ أخرى صَيلَمٌ ، إنّ الذي وقّاكَ تلك بأختِها لَضَمين[(٢)]
بل لو سرَيْتَ إلى الخليجِ بعزْمَةٍ سرَتِ الكواكبُ فيه وهي سفين
لو لم تكُنْ حزْماً أناتُكَ لم يكنْ للنّار في حجَرِ الزّنادِ كُمون
قد جاءَ أمْرُ اللّهِ واقتربَ المَدَى من كُلّ مُطّلَعٍ وحانَ الحين
وَرَمَى إلى البَلَدِ الأمينِ بطَرْفِهِ ملِكٌ على سِرّ الإلهِ أمين
لم يَدْرِ ما رَجْمُ الظّنونِ وإنّما دُفِعَ القضاء إليْهِ وهو يقِين
كذبتْ رِجالٌ ما ادّعتْ من حقّكم ومن المَقال كأهْلِه مأفون
أبَني لؤيٍّ أينَ فَضْلُ قديمِكم بل أينَ حِلْمٌ كالجِبالِ رَصين[(٣)]
نازَعْتُمُ حَقّ الوصيّ ودونَهُ حَرَمٌ وحِجْرٌ مانعٌ وحَجون[(٤)]
ناضَلتُموهُ على الخِلافةِ بالّتي رُدّتْ وفيكم حَدُّهَا المسنونُ
حرّفتُموها عن أبي السبطَينِ عنْ زَمَعٍ وليس من الهِجانِ هَجين[(٥)]
لو تتّقونَ اللّهَ لم يَطمَحْ لها طَرْفٌ ولم يَشْمَخْ لها عِرْنين
لكنّكُم كنتم كأهْلِ العِجلِ لم يُحْفَظْ لموسى فيهمُ هارون[(٦)]

ومنها :

لو تَسألونَ القبرَ يومَ فَرِحْتُمُ لأجابَ أنّ محمّداً محزون

---

(١) الوتين : عرق في القلب ، إذا انقطع مات صاحبه .
(٢) الصيلم : الداهية .
(٣) بنو لؤي : القرشيون .
(٤) الوصي : علي بن أبي طالب .
(٥) أبوالسبطين : علي ، وهما الحسن والحسين . عن زمع : عن مضاء .
(٦) أهل العجل : الإسرائيليون .

ماذا تُريدُ من الكِتابِ نَواصِبٌ ... ولَه ظُهورٌ دونها وبُطونٌ[١]
هي بغْيَةٌ أضْلَلْتُموها فازْجِروا ... في آلِ ياسِينٍ ثَوَتْ ياسِينُ
رُدّوا عليهم حُكمَهُم فعليهمُ ... نَزَلَ البَيانُ وفيهمُ التَّبيينُ
البيتُ بيتُ اللهِ وهو مُعَظَّمٌ ... والنُّورُ نورُ اللهِ وهو مُبينُ
والسِّترُ سترُ الغيبِ وهو مُحجَّبٌ ... والسِّرُّ سرُّ الوَحيِ وهو مَصونُ
النُّورُ أنتَ وكلُّ نُورٍ ظُلْمَةٌ ... والفَوْقُ أنْتَ وكلُّ فوقٍ دونُ
لو كان رأيُكَ شايعاً في أمّةٍ ... عَلِموا بما سيكونُ قبلَ يكونُ
أو كان بِشرُكَ في شعاعِ الشمسِ لم ... يُكسَفْ لها عند الشروقِ جَبينِ
أو كان سُخطُكَ عدوةً في السمّ لم ... يَحمِلْهُ دونَ لَهاتِهِ التِّنينُ
لم تَسكُنِ الدُّنيا فُواقَ بَكِيَّةٍ ... إلّا وأنتَ لخوفِها تامينُ[٢]
اللهُ يقبلُ نُسكَنا عنّا بما ... يُرْضِيكَ من هَدْيٍ وأنت مُعينُ
فَرْضانِ من صومٍ وشُكرِ خليقةٍ ... هذا بهذا عندنا مَقْرونُ
فارْزُقْ عبادَكَ منكَ فضلَ شفاعةٍ ... واقرُبْ بهمْ زُلْفَى فأنتَ مَكينُ
لكَ حَمدُنا لا أنه لكَ مَفْخَرٌ ... ما قَدْرُكَ المنثور والموزون

---

(١) النواصب: أراد بهم أعداء علي.
(٢) البكيئة: الناقة إذا قل لبنها.

قال يمدح إبراهيم بن جعفر
ويصف مجلساً بناه :

الشمسُ عنْهُ كليلَةٌ أجفانُها ... عَبرَى يَضِيقُ بسرّها كِتمانُها
لوِ تستطيعُ ضِياءَهُ لَدَنَتْ لهُ ... يَعْشُو إلى لَمَعانِهِ لَمَعَانُها(١)
وأريكَها تَخْبو على بُرَحائِها ... لم تَخْفَ مُذْعِنَةً ولا إذعانُها(٢)
إيوانُ مَلْكٍ لو رأتْهُ فارسٌ ... ذُعِرَتْ وخَرّ لسَمكِهِ إيوانُها
واستعظَمَتْ ما لم يُخلَّدْ مثلَهُ ... سابورُها قِدَماً ولا ساسانُها
سجَدَتْ إلى النيرانِ أعصُرَها ولو ... بَصُرَتْ به سَجَدَتْ له نيرانُها
بل لو تُجادلُها بهِ ألبابُها ... في اللهِ قامَ لحُسنِهِ بُرهانُها(٣)
أوَ ما ترى الدّنْيا وجامعَ حُسْنِها ... صُغرى لديه وهي يعظُمُ شانُها
لولا الذي فُتِنَتْ به لاستعْبَرَتْ ... ثكلى تَفُضُّ ضُلوعَها أشجانُها
خَضِلُ البشاشةِ مُرْتَوٍ من مائها ... فكأنّهُ متهلّلٌ جذلانُها
يَندى فتنشأ في تَنَقُّلِ فَيْئِهِ ... غُرُّ السحائبِ مُسبِلاً هَطَلانُها

---

(١) يعشو : يقصد .
(٢) تخبو : تسكن . البرحاء : الشدة .
(٣) اللب : القلب والعقل .

قال في رجل أكول :

أنْظُرْ إليهِ وفي التحريكِ تَسكينُ ... كأنّما التَقَمَتْ عنه التّنانينُ
يا ليتَ شِعري إذا أومى إلى فَمِهِ ... أحَلْقُهُ لَهَواتٌ أم مَيادين(١)
كأنّها وخبيثُ الزّاد يُضرِمُها ... جهنّمُ قُذِفَتْ فيها الشياطين
تَبارَكَ اللّهُ ما أمضَى أسنّتَهُ ... كأنّما كلُّ فَكٍّ منه طاحون
كأنّ بَيْتَ سِلاحٍ فيهِ مُخْتَزَنٌ ... مِمّا أعدّتْهُ للرُّسْلِ الفَراعِين
أينَ الأسِنّةُ أم أينَ الصّوارِمُ أم ... أينَ الخناجِرُ أم أينَ السكاكين
كأنّما الحَمَلُ المَشوِيُّ في يدِهِ ... ذو النّونِ في الماء لمّا عَضّهُ النّون
لَفّ الجِداءَ بأيديها وأرجُلِها ... كأنّما افتَرَسَتْهُنّ السّراحين
وغادَرَ البَطُّ من مَثْنى وواحِدَةٍ ... كأنّما اختَطَفَتْهُنّ الشّواهين
يُخَفّضُ الوَزُّ من قَرْنٍ إلى قَدَمٍ ... وللبَلاعِيمِ تَطْريبٌ وتلحِين(٢)
كأنّ في فكِّهِ أيتامَ أرمَلَةٍ ... أو باكِياتٍ عليهِنّ التّبابين(٣)
كأنّما يَنْتَقي العَظْمَ الصّليبَ لَهُ ... من تحتِ كلِّ رَحىً فِهْرٌ وهاوون(٤)
كأنّما كُلُّ رُكْنٍ من طَبائِعِهِ ... نارٌ وفي كلّ عضوٍ منه كانون

---

(١) اللهوات ، الواحدة لهاة : اللحمة في أقصى الحلق .
(٢) البلاعيم : الواحد بلعوم : مجرى الطعام في الحلق .
(٣) التبابين ، الواحد تبان : سراويل صغير يلبسه الملاحون .
(٤) الفهر : الحجر يكسر به الجوز وغيره .

كأنّما في الحَشا من خَمْلِ مِعْدتِهِ قَرَنْفُلٌ وجَواريشٌ وكمّون[1]
قوموا بِنا فلقد رِيعَتْ خواطِرُنا وجاذَبَتْنا الأعِنّاتِ البراذينُ
نصحتكمْ فخُذُوا من شِدْقِهِ وَزَراً أوْ لا فأنتُمْ سَوِيقٌ فيه مطحون
فَليسَ تُرْوِيهِ أمواهُ الفُراتِ ولا يَقوتُه فُلْكُ نوحٍ وهو مشحون
فمِثْلُ رَقَادةٍ في كفِّهِ وَسَطٌ ونحنُ مَقْدُونُسٌ فيه وطَرخُون[2]

---

(١) خمل المعدة : خشونتها . الجواريش ، الواحد جاروش : الرحى .
(٢) رقادة : مدينة في إفريقية . الطرخون والمقدونس : من النباتات .

قال يمدح أبا الفرج الشيباني :

قُولا لِمُعتَقِلِ الرُّمحِ الرُّدَينيّ
والمُرتَدي بالرِّداءِ الهِندُوانيّ
ضَعِ السّلاحَ فهل حُدِّثتَ عن رَشَأٍ
في مَشرَفيٍّ صَقيلٍ أو رُدَينيّ
ما حالُ جِسمٍ تحمَّلتَ السلاحَ بهِ
وأنتَ تَضعُفُ عن حملِ القُباطيّ[1]
لأعرِفَنَّ الأديمَ السّابِريَّ إذا
ما راحَ في سابِرِيِّ النسجِ ماذِيّ[2]
هيهاتَ من دونهِ خَلعُ النفوسِ وتك
ذيبُ الظنونِ وتَضليلُ الأمانيّ
هَبني اجتَرأتُ عليهِ حينَ غِرَّتهِ
في العَبقَريِّ أو العَضبِ اليمانيّ
فمن لمثلي بهِ في الدِّرعِ سابِغَةً
تَموجُ فوقَ القَباءِ الخُسرُوانيّ
إذا أفِرُّ ويُخزِي الأزدَ شاعِرُها
فلا تَظُنَّ الجُلَندَى كلَّ ازديّ[3]

(1) القباطي ، الواحدة قبطية : ثوب من كتان رقيق ، منسوب إلى قبط مصر .
(2) السابري : ثوب رقيق من أجود الثياب ، منسوب إلى سابور في بلاد الفرس .
(3) الجلندي : ملك من ملوك عمان ، كان فاسقاً كافراً .

ولسْتُ من ظُلمِهِ أخْشى بَوادِرَهُ
فرُبّ وِتْرٍ لديهِ غيرِ مِنسيّ
أهواهُ والصَّعْدَةُ السمراءُ تعذُلُني
والقلبُ يُذْلي بعذرٍ فيه عُذريّ[1]
إذا تثنّى تَثنَّتْ سَمهريّتُهُ
فاعجَبْ لما شئتَ من خوطٍ وخَطّي[2]
من أهْلِ بَهرامَ جُورٍ في مناسِبِهِ
ما شِئْتَ من فارسيٍّ نَوْبَهاري[3]
أوفى فماسَ على غُصْنٍ وماجَ على
دِعْصٍ وقامَ على أنبوبِ بَرديّ
مَن ليسَ يَرفُلُ إلّا في سَوابِغِهِ
من تُبّعيٍّ مُفاضٍ أو سَلوقيّ[4]
ليثُ الكتيبةِ والأبصارُ ترمُقُهُ
وبيْضَةُ الخِدرِ في الليلِ الدجوجيّ
ولا يُحَدِّثُ إلّا عن سَوابِقِهِ
مِن أعوَجيٍّ جوادٍ أو صَريحيّ

---

(١) الصعدة السمراء : الرمح الأسمر ، وأراد : قامته .
(٢) الخوط : الغصن الناعم .
(٣) بهرام جور : أحد ملوك الفرس . وأراد بقوله : نوبهاري ، أنه فارسي خالص . ونوبهار : لفظة فارسية معناها الربيع الجديد .
(٤) تبعي مفاض : درع منسوبة إلى تبّع . سلوقي : درع منسوبة إلى سلوق من اليمن .

أو ذي كُعـوبٍ من الـمُـرّان مُعتـدِلٍ
أو ذي فِـرنـدٍ من القُضْبـان حـاريّ(١)
أو عـن جِـلادٍ وفُـرسـانٍ ومـعـركَـةٍ
وصَـولَـجـانٍ وشـاهـيـنٍ وبـازِيّ
فـلو تَـراهُ غَـدا بـالصَّـقْـرِ أشْبـهَ مِـنْ
جـوانـحي بـقَـطاً فـي الـجَـوّ كُـدْرِيّ
ثَـقِفتُ مـنـهُ أديـبـاً شـاعـراً لَـسِنـاً
شَتّى الأعـاريضِ محـذورَ الأحـاجيّ(٢)

ومن قصيدة يمدح فيها يحيى بن علي :

ومـا تِلكَ أوضـاحٌ عليهـا وإنْ بَـدَتْ
ولكنّمـا حَيّتْـكَ عنهـا المَبـاسم(٣)
تمشّتْ شمـوسٌ طَـلْقَـةٌ في جُلودهَـا
وضُمّتْ على هُـوجِ الرياح الشكائم(٤)
تُـعـرّضُـهـا لـلطّعْـنِ حـتى كـأنّـهـا
لـهـا مِـنْ عِـداهَـا أضْـلُعٌ وحـيَـازم
وتـطعـنـهـم لـم تَـعْـدُ نـحـراً ولَـبّـةً
كـأنّـكَ في عِقْـدٍ من الـدُّرّ نـاظـم

(١) الحاري : منسوب إلى الحيرة .
(٢) الأحاجي ، الواحدة أحجية : الكلام الغامض .
(٣) الأوضاح : أراد بها بيض الغرر ، والتحجيل في القوائم .
(٤) كنى بهوج الرياح عن سرعة جريها .

وكم جَحفَلٍ مَجْرٍ قرعتَ صَفاتَهُ
بصاعقةٍ يَصْلى بها وهي جساحم[1]
أتتْكَ به الآسادُ تُبْدي زئيرَها
فطارَتْ به عن جانبَيكَ القشاعم
أتوكَ فما خرّوا إلى البِيض سُجّداً
ولكنّما كانَتْ تَخِرُّ الجماجم
ولو حاربتْكَ الشمسُ دونَ لقائِهم
لأعْجَلَها جُنْدٌ من اللهِ هازم
سبقْتَ المَنايا واقعاً بنفوسِهِم
كما وقعَتْ قبلَ الخوافي القوادم
تَقودُ الكُماةَ المُعْلِمينَ إلى الوَغى
لهمْ فوقَ أصواتِ الحديدِ هَماهم
غَدَوْا في الدّروعِ السابغاتِ كأنّما
تُديرُ عُيوناً فوقَهُنّ الأراقم
فليسَ لهم إلاّ الدّماءَ مَشارِبٌ
وليسَ لهمْ إلاّ النّفوسَ مطاعم
يَوَدّونَ لوْ صِيغتْ لهم من جِفاظهِمْ
وإقدامِهم تلكَ السّيوفُ الصّوارِمُ
ولوْ طعَنَتْ قبلَ الرّماحِ أكُفُّهُمْ
ولوْ سَبَقَتْ قبلَ الأكفّ المَعاصمْ

(١) قرعت : ضربت ، ودققت . صفاته : حجره : الصلد . الجاحم : الجمر الشديد ، وأراد هنا جاحم الحرب : شدة القتل في المعترك .

قال يمدح جعفر بن علي
ويذكر وفوده على الخليفة المعز :

هل آجِلٌ ممّا أؤمّلُ عاجِلُ ... أرجو زماناً والزمانُ حُلاحِل[1]
وأعَزُّ مفقُودٍ شبابٌ عائِدٌ ... من بعدِ ما ولّى وإلْفٌ واصِلُ
ما أحسَنَ الدّنْيا بشَمْلٍ جامِعٍ ... لكنّهَا أمُّ البَنينَ الثّاكِلُ
جرَتِ اللّيالي والتّنائي بيننا ... أمُّ اللّيالي والتنائي هابِلُ
فكأنّما يوْمٌ ليومٍ طارِدٌ ... وكأنّما دَهْرٌ لدَهْرٍ آكل
أعَلى الشّبابِ أم الخليطِ تَلَدُّدي ... هذا يُفارِقُني وذاكَ يُزايِل[2]
في كلِّ يومٍ أسْتَزيدُ تجارِباً ... كم عالمٍ بالشيءِ وهو يُسائِلُ
ما العِيسُ ترحلُ بالقِبابِ حميدةٌ ... لكنّهَا عَصْرُ الشبابِ الراحلُ
ما الخمْرُ إلاّ ما تُعَتّقُهُ النّوَى ... أوْ أخْتُهَا ممّا تُعَتّقُ بابل
فمزاجُ كأسِ البابِليّةِ أوْلَقٌ ... ومِزاجُ تلك دمُ الأفاعِي القاتل[3]
ولقد مَرَرْتُ على الدّيارِ بمَنْعِجٍ ... وبها الذي بي غيرَ أنّي السّائل[4]
فتوافَقَ الطّلَلانِ هذا دارِسٌ ... في بُرْدَتَيْ عَصْبٍ وهذا ماثل[5]
فَمَحا مَعالَمَ ذا نجيعٌ سافِكٌ ... ومحا مَعالِمَ ذا مُلِثٌّ وابل[6]

---

(١) الحلاحل : السيد وأراد الاستخفاف .
(٢) التلدد : التحير .
(٣) الأولق : الجنون .
(٤) منعج : واد .
(٥) العصب : من برود اليمن . الماثل : الرسم الممحو .
(٦) الملث : الممطر .

يا دارُ أشبَهَتِ المها فيكِ المَهَا والسِّـرْبِ إلّا أنّهُنّ مَطافل(١)
نَضَحَتْ جوانحَكِ الرِّياحُ بلؤلؤ للطَّلِّ فيه رَدْعُ مِسْكٍ جائل
وغَدَتْ بجَيبِ فيكِ مشقوق لها نَفَسٌ تُرَدِّدُهُ ودَمْعٌ هامل
هَلّا كعهدِكِ والأراكُ أرائكٌ والأثلُ بانٌ والطُّلُولُ خمائل(٢)
إذ ذلك الوادي قَناً وأسِنَّةٌ وإذِ الدِّيارُ مَشاهدٌ ومحافل
وعوابسٌ وقَوانِسٌ وفوارِسٌ وكوانسٌ وأوانسٌ وعقائل(٣)
وإذِ العِراصُ تبيتُ يَسحَبُ لأمَةً فيها ابنُ هَيْجاءٍ ويصْفِنُ صاهل(٤)
وتَضِجُ أيسارٌ ويَصْدَحُ شاربٌ وتَرِنُ سُمّارٌ ويَهْدِرُ جامل(٥)

---

(١) المها الأولى : أراد بها الغواني . الثانية : بقر الوحش . السرب : القطيع من الظباء وبقر الوحش والنساء . المطافل : ذوات الأطفال .
(٢) الأثل : شجر جيد العود . الخمائل ، الواحدة خميلة : الروضة الكثيرة الشجر . الأرائك ، الواحدة أريكة : السرير .
(٣) القوانس ، الواحد قونس : أعلى بيضة الحديد . الكوانس ، الواحد كانس : الظبي يدخل كناسه ، وأراد الجواري المشبهات بالظباء ، الملازمات أخدارهن . الأوانس ، الواحدة آنسة : الجارية الطيبة النفس والحديث . العقائل ، الواحدة عقيلة : الكريمة المخدرة من النساء .
(٤) يسحب : يجر . لأمة : درع . ابن الهيجاء : الفارس .
(٥) الأيسار ، الواحد ياسر ، ويسر : الجازر لأنه يجزىء لحم الجزور . الجامل : جماعة الإبل مع رعاتها .

المراجع والمصادر

نفح الطيب المقري دار صادر بيروت ١٩٦٨
عصر الدول والإمارات د . شوقي ضيف دار المعارف بمصر
الأدب العربي في الأندلس د . عتيق دار النهضة العربية ط ٢ بيروت ١٩٧٦ .
تاريخ الأدب الأندلسي د . احسان عباس دار الثقافة بيروت ١٩٧٨ .
فصول في الشعر ونقده د . شوقي ضيف دار المعارف بمصر
ديوان ابن هانىء دار صادر بيروت
الأعلام الزركلي دار العلم للملايين ط ٧ بيروت ١٩٨٦
سير أعلام النبلاء الذهبي مؤسسة الرسالة ط ٣ بيروت ١٩٨٥
وفيات الأعيان ابن خلكان دار صادر بيروت ١٩٧٧
تاريخ الأدب العربي بروكلمان دار المعارف بمصر ط ٢
تاريخ أعمال الأعلام لسان الدين بن الخطيب دار المكشوف ط ٢ بيروت ١٩٥٦ .
ديوان الفرزدق دار الكتب العلمية ط ١ بيروت ١٩٨٧

الفهرس

الفصل الثاني
حياته وشعره